SCANNED BY
JAMAL HATMAL

انکار کا جوہر

روایۃ

خلیل الرحمٰن

حقوق الطبع محفوظة

الغلاف للفنان جورج بهجوري

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

كنا نقترب بسرعة من البحر عندما قلت باستياء لا تظل ساكتا وقبل أن أقول شيئا أحسست بكفك الصغير تتحسسني بحركات متوترة لهفاء ولم أعرها أنتباها كنت أتشبث بالضوء الأحق تحولاته البيضاء الحمراء الصفراء البرتقالية وهي تتخالط فوق الاوتوستراد مخترقة جدار الليل الوليد ليل الكون الاتي من هناك وباشمئزاز شديد استدرت عني بعيدا دون أن تقولي شيئا ولم أقل انا كذلك عاد الصمت يملأ الفضاء المظلم يبعد أحدنا عن الاخر ذلك الصمت الغريب الذي اختصر حياتنا الأولى كلها صخبها وعنفوانها وحبها وكرهها وتمردها واستسلامها من يستطيع أن يقاوم ذلك الصمت بعد الان أن ينجو منه أن يجتاز حواجزه الميتة من يستطيع وكأنك لم تعودي راغبة في الوصول قلت بلا مبالاة ألا نستريح وانتفضت أنا نستريح ولما نصل بعد والليل يستقر من حولنا والظلام يأتي شرقا ينبع من أعماق الارض يرقى الينا من أسفل ومن خلف ومن أمام يشوش رؤيتنا يحدها حدا وكمحاولة يائسة لاختراقه غيرت الضوء نورا فامتد طويلا عاليا وأنار الكون حتى الافق وبدت بفعله الاشياء بيضاء بلا شكل ما ولا لون ولا حجم وبانتباه شديد صرت ابحث عن البحر الذي ضاع ذات يوم وأنار ذلك سخطك المزمن وهياجك المخيف حتى البحر تريد أن تلغي وجوده ودون أن أعلق بشيء جرحك من بعض اجزائك الواهية جرا وكأن شيئا لم يكن حششت الخطى بمرح لاحقة بي وأنت تتحنين بأناقة حفر الماء الفارغة بين الاحجار التاريخية البرشاء وأمام ساحة الحجار توقفنا معا ونظرنا معا ومعا لم نر شيئا سوى الحيطان كان التاريخ يقبع في مكان ما من العالم ولكن لم أيتظنا أصواته النحاسية العذبة بائع العرقسوس وهو ينغم شامي ياحلو شامي يا اتم بورد على طبلت يا حلو بورد ولم انحرفت أنا انحرافا ازليا وأنا الاحق تمتمات الحوانب المتعدنة المتقشة والرقيقة وهي تنقط دقاتها البديعة من على ظهره دقة دقة وهذه المرة انت التي هجمت علي كدت تخرج عن الطريق وكالبرق استعدت سيطرتي على الحركة والمسافة والليل وبدا الاوتوستراد هادئا مطمئنا خاليا من كل شيء الا منا والشمس تسكن جوف الكون العلوي بحماقة قاتلة تلك

الشمس الحمراء السوداء البنفسجية التي مزجت نفسها بالذباب والبعوض وأدخنة الباصات العتيقة الراجفة وأبخرة الروث الطازج وطنين الدبابير وأزيز الطائرات الحائمة فوق الارض ودقات العرقسوسي المعدنية الصدئة ولحوحاتك اسرع اسرع هاهي ذي الحميدية وصلناها وبفضول يائس مكسور رفعت رأسي عاليا ورأيت الاشياء السماوية في حالتها الهوجاء العنيفة واشتد علي الحاحك اشتدادا سوقيا مقيتا اسرع اسرع ومن بعيد سمعت صدى الخشة في السوق خشة جسدي المنتهك المدعوك الممرغل بالتراب والعرق والغبار والخراء وتلفت اليك لمحا كنت مأخوذة حتى شعيراتك بالليل والحركة والاوتوستراد الاسود الطويل الذي نام باعياء على بطنه نومة ابدية وعندما انزلق الضوء عليه فجأة وتدريجيا رأيتك تلاحقين انزلاقة الساطع بقلق وفضول ولكي استفزك اكثر اطفأت الضوء عمدا وسرنا ظلاما وصرخت بخوف اشعل الضوء اشعل الضوء كنت أريد أن ارى الكون ظلمة ونورا من هنا ومن هناك وارعبتك تلك النزوة الطارئة رعبا حيويا عميقا لم أكن أتوقع مثله منك ولكي اهدىء من روعك سحبت يدي من جسدي واعطيتها لك دون حماس لتلقي بها مثل يد الميت في المسافة الفاصلة بين جسدنا وكأن ذلك الحياد الفيزيائي كان اهانة جديدة لك قذفت في وجهي قذوفاتك قذفا وأنت تؤكدين لن اسكت بعد الان على شيء لن اسكت سرني ذلك وساءني معا أن تعلني غضبك فهذا عظيم وأن تحلنيه علي أنا ذلك هو ما يدهشني كنت أتصور أن ما بيننا لم يكن يصلح اصلا موضوعا لمثل هذا ومن جديد خطر لي أن اطفىء الضوء وأن أسير ظلاما في عتمة الاوتوستراد الشديدة عتمة الليلة الاخيرة تلك وبأقصى ما استطيع من السرعة ومنذ أن احسست بنزوتي العنيفة مددت كفك الي وثبت بها كفي قبل أن يصل الى هناك وبرجاء متواطىء قلت انتظر قليلا انظر وبدا الاموي يفتح ذراعيه للناظرين مسترخيا في حرارة القيظ الخالصة كرجل قذف توا وبائعو الكتب العتيقة يطنون حوله كذباب المراحيض ورجوتك بخبث لا تقولي انتظر بعد الان فالانتظار هو الاحتضار اسحبي يدي اذن اسحبيها دعيها تمر على احشائك العظمى وجلدك البصير اعذب الحركات الحركة الحميمة واصدق الكلام الشتيمة أتوسل اليك اذن اسحبيها الى المحروس أنا لا أريد أن امسك بسوء كل ما أريد هو أن التصق بك كما يلتصق الثعلب بالثعلبة وهذه المرة ضحكنا معا ونحن نلج الحميدية من الباب ومن أين تريد أن نلجها اذن من اين طبعا من هناك كنت اريدك أن تعرفي فورا ما ستعرفينه بعد قليل ففي العجلة السلامة وفي التأني الندامة وقبل أن أفعل ارتجفت كما ارتجف أنا عادة في كل مرة ابول فيها ليلا على جذوع شجر الصالحية النحيل وأنت تصرخين هي شوف الطيارة فوقنا وقبل أن اتحلق فوقك كان حطامك ينتشر حولي كحطام

المفرقعات الطفولية الهشة وتلقفتك واقفا وقاعدا وبلا أوضاع واعدت صنعك كما يحلو لي من هنا شيء ومن هنا شيء آخر ومن هناك اشياء اخرى لم ترها عين ولم تمسها يد ولم يعرفها انس ولا جان وكالفرس النفور شببت الى عنقي والقيت بي ارضا مجنون تريد أن تموت وصرخت بك لنخرج من الحميدية فورا لنخرج من هذه القرية الظالم اهلها والله أن الصبر على هذا لعظيم ومن الرصيف الى الرصيف شاهدنا خروجا علب السكاكر والحلوى والاثواب الرخيصة الملونة والاحزمة الصفراء اللامعة تتزاحم في الفضاء وعيون التجار الفارغة وبطونهم الملأى واحذية مطاطية معلقة بخيوط من القنب الأصفر المتين احذية الغش التي لا تقي الحفيان حتى من الحفى ومن غشنا فهو منهم والبشاكير الرقيقة الرخيصة التي لا احتاج الى أي منها ولماذا سألت باهتمام لاني لا اغتسل وقهقهت كذاب حقير وقهقهت أنا كذلك كانت ضربتك غير قاضية وهل يسوؤني أن أكون كذابا حقيرا لا شك لا ومع ذلك كنت صادقا صدق بطن أمي الذي حملني من ظهر اب لا أعرف له اسما ولا رسما ومن جديد قهقهت كذاب حقير كذاب حقير وكل كذب يكتب كذبا الا ثلاث كذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد والكذب في الصلح بين الرجلين هكذا ترين أن المرأة هي الكائن الوحيد الذي لا يكذب ولم تضحكي هذه المرة لدغك الحمال بطرف حمله الثقيل مارا فملأ نفسك الاشمئزاز والغضب وفي مكانك وقفت دون حراك وأنت ترمينه بسهام عينيك الشهوانيتين ولم يرك على هذه الصورة وهذه الحال الا أنا وظهره العريض الذي ارتكز على حدوده الدنيا حمله الباهظ الثقيل وهو يبتعد وئيدا ينقل فخذا بعد فخذ وبين النقلة والنقلة تنفرج اليتاه انفراجا عجيبا ويتقوس بدنه ويسوخ هذا هو الخارجي انظري انظري من كانت به حاجة لا تحق مطالبته بالفضيلة ومع الشعاع انحدر الضوء عميقا وغاب وظل الليل ينبع من مسام الارض التي لا تحصى والبحر لا يزال بعيدا والعروق تنتفخ انتفاخا واعضاؤنا يقترب بعضها من بعض لو تضيفين اختلافك الى اختلافي لصنعنا ائتلافا مخيفا فالعدل قد عفا والجور قد فشا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وعلى مد البصر الصقيل امتدت الحميدية بالوانها ودكاكينها ومستغلوهاه ومستغليها واشيائها الاخرى وكأني أراها للمرة الاخيرة شعرت بالانحلال والخراب وأنا انحل في بقع الضياء الساقط من شقوقها التوتيائية العليا بقعة بقعة ومن طرف كمي جررت هيكلي البطيء جرا حنونا متحاشية تحاشيا انجيليا صارما أن يلامس جلدك جلدي وتعثرت أنا بحالي ولئلا الامس الارض لمست بعناية فائقة كتفك لمسا مشوقا وتحملت بنشوة ثقلي المفاجيء وأنا استند الى بطنك وظهرك والخاصرتين وقلبت وجوهي وجها بعد وجه وأنت تجرينني باصرار لنعد فورا نعود وندع

الطائرات تحوم فوقنا كالزنابير وحمير الشام تنقل الكمثرى والمشمش والخيار والخس الجميل ذا الاوراق الطويلة العريضة الشديدة الخضرة المروية من دمنا ريا واشياء اخرى كثيرة تنقلها من دمر والهامة والقابون والست وكفر سوسة المنحوسة ومن الغوطة ومن الغوطة الاخرى ومن انحائها جميعا تنقل ذلك كله الى هنا الى قلب هذا المكان بالذات ليسطوا عليه ولما يبلغ سن الوعي وتعجبت يسطون على من يسطون على من وأنت تتابعين جري الى النقطة اسرع اسرع لنعد فورا لنعد وتخلصت منك بغضب لا اريد أن اعود لا اريد أن اعود الى قواعدي حتى ولا سالما واحسست بمخالبك الحادة تنغرز في لحمي وصوتك المستثار اياه يحثنا معا تعال تأخرنا تعال هل كان علينا حقا أن نقطع الحميدية من أولها الى اخرها من الحجاز الى الاموي ومن الاموي الى الحجاز مرة على هذا الرصيف ومرة اخرى على الرصيف الاخر وباقصى مالدينا من الوعي والانتباه أم كانت تلك مجرد خطة بائسة لرجل مستاء يقضي يومه الاخير هنا ورأيتك تتململين في مقعدلك القريب وفهمت أنك تلفتين انتباهي الى الطريق الذي كنت على وشك أن أحيد عنه وأحسست بي أهوي لم أعد اعرف كيف اتصرف المأساة هي اهتراء الاشياء التي لا تزال في حوزتك محسوبة عليك وتحت ناظريك وأنت لا تستطيع أن تفعل لها شيئا ولا لنفسك قلت بشكل قاطع وصريح وأضفت سريعا المأساة هي أن هذ الكلمة السخيفة نفسها صارت مأساة ونظرت باحتقار الى يدي الملقوحة مثل يد الميت في المسافة الفاصلة بين جسدينا ونحن نلتهم الطريق التهاما البحر البحر وبدا المتوسط معكوسا مكسور الماء والرذاذ والسنته الحادة تلحس حفاف السفينة البيضاوية المتطاولة أنها المرة الأولى اذن ومع ابتعادنا ابتعد هو الاخر عن ضفافه التي تكورت وغدت فضاء منحنيا بعيدا غارقا في الماء ولم يعد يرى من البر القديم الا مقامه وفوقه الغمام الذي يوصل البحر باليابسة واليابسة بالبحر والرجل يقود رجلا يقدمه الى الامير اصلح الله الامير أن هذا عاص فقال له الرجل انشدك الله ايها الامير لي دمي فوالله ما قبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا واني لحائك اخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما احس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد وبحدة والمعال غيرت الضوء بعد أن كنت قد غيرته من قبل فامتد طويلا عاليا وبدا اخره بعيدا بعيدا جدا يكاد يلامس ظهر البحر وبان الاوتوستراد تحته شريطا أدهم من العتام [illegible] سديد سألتك بحقد لماذا فعلت هكذا وأجبت هادئة قلت لك الف مرة واحسست [illegible] يرتعش ارتعاشا وانا ادفع من عيني الى عينيك باشعة الشام الحامية العنيفة لم يبق الا القليل هذا هو المالكي اعرفه وهذا هو الجسر الابيض اعرفه وهذا هوعرنوس اعرفه وهذه هي الله الحيه وشهقت أنها المرة الأولى يلعنك وهذا سوق ساروجة اعرفه وهذا هو سوق

التبن اعرفه وهذا هو سوق البيض أعرفه وهذه هي قهوتهم وقلت بغموض الظلام ...
وملأ الامتعاض نفسي كدت اقبض عليك قبوضا لا نقيض له أبادل كيانك بكياني الا أن قيدا ممضا كان يلجم احشائي يفصل بيني وبينك يحميك مني ولا يحميني منك ودست الجواسيس الى عسكر الخوارج فاتوا باخبارهم ومن في عسكرهم فإذا هم حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد أنه الليلة الاخيرة اذن أنها الليلة الاخيرة وسألتني باندهاش وحرارة الشمس الذهبية الحمراء تتسلط على فستانك الحريري الاملس وهو يتزالق على جسدك الجميل ماذا ودون أن أجيب امسكت بكفك بحزم وجررتك منها حتى الباب وبصمت صعدت معي الدرجات السوداء العتيقة ووقفت في منتصف الطريق مثلما وقفت ونظراتك المصعوقة تسقط في نظراتي كنت امسك بك بيد وبالاخرى احاول اخراجه باسرع ما يمكن وانتفضت مرعوبة وهو يقترب منك بتصميم وبقدر ما يسمح ذلك التوتر العظيم من دقة واتزان رفعت ثوبك الحريري الاملس حتى الخصر ودفعت بسروالك الصغير الذي كان يخنق جوفك خنقا الى البعيد وبحركة لازمن لها ولا تفسير انفرج بدنك واستويت عليه وفي اللحظة نفسها جاءت الطقة تتبع الطقة انفتح الباب انغلق الباب ودون أن ينفك احدنا عن الاخر تساءلنا معا نصعد الدرج نهبط الدرج ومعا صعدنا ولم نهبط حتى الان كان علي أن اذهب بعيدا بعيدا جدا في كرهي لك أن احبك كما لم احب احدا من قبل وخطر لي أن اقول لك ذلك ونحن نركب الاوتوستراد الا انني فضلت الصمت والتواطىء كما هي العادة واخذت ازيد من السرعة بدلا من أن افعل العكس وكالسهم اقترب الضوء من الضوء وتمارنا برقا برقا وباقصى انتباهي التويت طويلا اتبع انحناءة الاوتوستراد الذي ولج الفوهة الغامضة في ثنايا الجبل المهيب وكأنك اردت ازعاجي قلت بنوع من التشنج انتبه اذا اردتنا أن نصل وسخرت أنا بلا مبالاة أن نصل أو لا نصل تلك هي المضحكة المهم أن نعي أن الحياة لعبة وأن علينا أن نلعبها بمرح وباستياء قلت العبها لحالك وكالمجنون ظللت اتابع باقصى السرعة خطوط الاتوستراد البيضاء الصامتة وأنا اتشرب بشغف حسيس العجلات المطاطية القاسية وهي تنسحق على الاسفلت قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللحاكم أن يحكم بما يراه صالحا وليس للرعية أن تعترض عليه كان الصمت يحل من جديد صمت الليلة الاخيرة ذاك اعرفه عندما يجيء صمت الفراق الذي لا لقاء بعده ولا التقاء ودون انذار خففت السرعة فجأة واضأت غمازات الشدة الاربع وتوقفت على اليمين وقبل أن اخرج تطلعت في المرآة السوداء شمالا كانت الأضواء تلمع في الأرض بعيدا كالنجوم وما تلبث أن تحاذينا وتغيب تاركة غبارا ابيض يذوب فورا في سواد الاوتوستراد وكالحبيس الذي استرد طلاقه دفعة رميت بنفسي في ليل الكون بلا قيود

وأنا انفث الحسرة تلو الحسرة وشهيق عميق بعمق يحل محلها دون انتظار وسمعتك عبر زجاج السيارة المعتم تسألين بنفاذ صبر ماخلصت قلت لا قلت بلى واجبتك صارخا لكأنك أنت التي تبولين وباحتقار قلت لم يبق فيك الا الصراخ ودون اهتمام بما قلت ادرت ظهري لك ولليل وابتعدت بتؤدة نحو الامام ومن وراء رأيتك تهزين رأسك هزات متتالية ودون أن اسمع صوتك اللجوج كنت اعرف أنك تقولين كما هي العادة قرارات قرارات وكأن ذلك نقد لا يمكن أن يوجه الا لي لي وحدي في هذا العالم وبتحد قلت فعلا لا يمكن أن يوجه الا لك لك وحدك في هذا العالم ولأول مرة تقريبا احسست بعجزي الكامل عن الامساك بك وملأ نفسي شعور غامض بتسربك من بين اصابعي كالزئبق كيف حدث ذلك كله خلسة وكيف صار ومن سلطك علي والسلطة خرابة وقال والله لامهدنك ثم لاحملنك اين المال قال عندي فهل للحياة من سبيل قال لا قال فاخرجني الى الناس حتى اجمع لك المال فلعل قلبك يرق علي ففعل فخرج فأحل الناس من ودائعه واعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد اليه فقال شأنك الان فاصنع ما شئت فشد في القصب الفارسي ثم سُل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات ودن أن تقولي شيئا اختلطت في ظلام الجنوب الرطب عيناك السليطتان بعيني وأنت تحدقين في وجهي العابس المتجهم وتسألنيني مشدوهة جئت من الجبهة ومن اين يمكن لي أن اجيء وترن ضحكتك الخبيثة القاهرة وأنت تزحفين على طيزك نحوي حتى تلتصقي بي وأحس حركية تشممك العميق تشفط شفطا رائحة جسدي الخليطة من العرق والنز والزنخ والغبار وكأنك كنت تعرفين تماما ما نويت فعله أمرتني لا تستحم وتعجبت أنا اظل بوسخي وهجمت علي احب أن نفعلها هكذا كان انفك قد صار في اكثر من مكان وصرت تملائين منخريك بعبير الرائحة الحية الواخزة التي كنت تبحثين عنها بشغف تحت الابط وفي المغبن وحول الخصيتين ودون توقف بدأ التهامك لي كان الحر في اوجه وخلت دروب نوى وزواياها من الناس ولم يبق من العالم حولنا الا الاحياء الداشرة المحتمية من الشمس بالحيطان وبعض الكلاب التي ضوت لاهثة في افياء الدور المتلاصقة دون انتظام والتحم الاسود بالاسود وسمعتك تعنين تعنين وخطر لي أن اسألك ولكن بمودة هذه المرة لماذا لا نكف عن تعذيب بعضنا بعضا الا أن ما حدث فجأة ابعدني عن ذلك بعيدا بعيدا جدا وعندما استقام المسار لم أجد على لساني الا تلك الكلمة التافهة السخيفة لقد سئمت لقد سئمت ودون انتظار قلت منذ عرفتك وأنت كذلك واعدت علي دون رحمة كل ما كنت تحفظينه من سؤوماتي عن ظهر قلب وتابعت بصمت وبامتعاض تحولاتك الهائجة وأنت تنقلبين من حال الى حال كنت اتمنى أن تقومي بحركة هوجاء حركة تدفع بنا جميعا

خارج الحياة والزمن والتاريخ الا أنك بقيت ساكنة في مكانك وظل الليل يمر حولنا كالفيضان وانوار السيارة العالية تجرنا نحو البحر جرا ومنادي الحجاج ينادي من أتى برأس فيروز فله عشرة الاف درهم ففصل فيروز من الصف وصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي من أتى برأس الحجاج فله مائة الف واحسست بحركة غامضة من الشك تخترق احشائي ولست ادري كيف قلت لك بحنان نامي الدنيا ليل والدرب طويل واستنكرت ذلك بشدة تتدخل حتى في نومي أدرت خافض الزجاج بسرعة وهجمت برودة الليل فورا واحتل الارتعاش البارد اجزائي واحسست بكفي تريد أن تجيء اليك أن تتمسح بك أن تلمس بعض اجزائك الحميمة الا أنك ظللت تنظرين دون اهتمام في سواد الليل الممتد شرقا الى اخر الكون ومع ذلك لم أتمالك نفسي فلمست ظهرك برقة ورأيتك تنتفضين جافلة لا تلمسني لا تلمسني جفلت أنا الاخر وجفل معي العالم كله وكدنا نقع على الطريق ومن سواد الليل البهيم انتزعت عينيك الملعونتين لتصويبهما بعدائية نحوي ودون أن أهمل مراقبة الطريق قلت لك بلؤم قريبا سنصل وأنا اسرع اكثر فاكثر كان الظلام خارج الكون الصغير الذي يحتوينا عذبا سحريا يغري النفس بالحركة والانتصار وزاد في هيبته وغموضه النزق الذي اخذ يثبت اركانه في اعماقي باصرار وتمنيت ان يطول الليل الى آخر الطريق كانت تملأني رغبة مبهمة في أن أحطم شيئا ما أن أوذي احدا أن اظل في حركة لا تهدأ كان يكفي القليل من الخلل لكي تصير الحياة غير قابلة للاحتمال وكنت اقوم بجهد عال لكي احافظ على توازني المشؤوم وكنت تعرفين ذلك جيدا ومع ذلك كنت تريدين أن تدفعي بالمركب الجانح الى اعماق الماء وسألتك بغباء وماذا ستكسبين قلت اكسب نفسي ولم تفاجئني تلك الراديكالية الزائفة فمن لا يستطيع كسب الاخر في عالم يقوم اصلا على الكسب لن يستطيع ان يكسب نفسه ابدا ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره واحسست بي اتهاوي كان ذلك مريعا حقا ولأول مرة خطر لي انني امسك برأس الخيط وأن ما يحدث الان وهنا كان قد حدث من قبل في الشام ووجدت نفسي اغلظ في الكلام لي ولك وللصدفة التي جمعتنا وضحكت ساخرة مني وانت تقولين لم تكن صدفة لم تكن صدفة انحرف الطريق يسارا قبل أن ارد عليك وتلوى صاعدا نحو السماء واستعنت بنباهتي كلها لئلا افقد المسار وانت تحدقين في الفضاء المعتم حولنا وتتساءلين الى أين تصعد وبتحد قلت الى اعلى نقطة في قاسيون واطلقت همهمة لم أفهمها حتى الان وعلى رأس الجبل الأجرد استدرنا جنوبا ورأينا معا هذه المرة كل شيء وكالمأخوذة مددت يدك دون روية الى الباب ونحن في اقصى حالاتنا توترا وهيجانا وامسكت بها في اللحظة الحاسمة

وأنا اصرخ ماذا تفعلين هل تريدين أن تموتي قلت بهدوء لا اريد أن اقيء وعلى طرف الاوتوستراد جثوت باعياء آخذة بملء وجهك الارض وسبابتك تلج الحلق عميقا تحاول عبثا اخراج الاشياء المدفونة في اعماقك ومع تخامد تلك النوبة المريبة تقاومت بكسل وتراخ واقتربت مني دون حماس لاقحة جسدك المنهك علي وللحظة نسيت فيها كل شيء احطت بيدي اليسرى رأسك وباليمنى غطيت جذعك المتهالك وسهل التصاقنا المباشر والصميم هذه المرة ايضا انتقال الرعشات منك الي وبدأت أنا الاخر ابكي وكمن يفيق من اغمائه الطويل رفعت رأسك متمهلة ونظرت الي بحقد وقلت باتهام لقد خربت كل شيء لقد خرقت كل شيء وكالمذعور دفعت برأسك بعيدا عني وأنا ارتجف وبدلا من أن تقولي شيئا جديدا استدرت الى اليمين وحضنت نفسك بنفسك ورحت تبتعدين وتشبثت أنا بالمقود الاسود ذي الملمس البارد اللين والبطيء وشعور بالوحدة والخوف يستولي علي وأنا أتابع حزم الضوء الاصفر الابيض وهي تشق الظلام أمامنا دون توقف كان علينا أن نصل البحر قبل الصباح ومن أجل ذلك كان علينا أن نستعمل ما تبقى لنا من الزمن استعمالا جديدا أن نقومه تقويما آخر وبدلا من أن أحس بارتعاشات جسدك المسجي لصقي صرت احس بخفيف العجلات المطاطية المنتفخة بشدة وهي تدرج على الاوتوستراد ولسبب لازلت اجهله حتى اليوم صرت تتحركين في مقعدك الازرق حركات غريبة مفاجئة ولم اعرك اهتماما كان احتكاك العجلات الصاخب والمستمر بالاوتوستراد يثير في نفسي قلقا خفيا وبدا لي أنها ستنفجر بعد قليل وتملكتني رغبة صارمة في أن اتلمس اعضائي واحدا بعد الاخر أن اتحسس جسدي من نواحيه كلها أن اتعرف عليه بعمق بعد أن حملته كل هذه السنين وحاولت أن اقترب منك اكثر فاكثر الا أنك ابتعدت مرة اخرى الى المحيط ولم أشأ أن اقول لك أنها الليلة الاخيرة واننا اذا ما افترقنا فستخسرين من كنت تحبينه وسأخسر من كان يحبني ومع ذلك ليس لدي ما ألوم نفسي به أو ألومك عليه كل مالدي من اللوم يقع على الاخرين وصرخت بوجهي الاخرون دائما الاخرون وبتحد قلت ولم لا اذا كانوا هم كذلك فعلا هكذا حرمتني من التمتع بمتعة كانت قريبة الى القلب واشعرتني بغتة أنني فقدت الرغبة في كل شيء تقريبا ولم يعد على لساني الا كلام واحد اريد أن اذهب بعيدا ومن غير رجعة اريد أن اعود من حيث أتيت وبلؤم قلت اذهب ليقتلوك كان واضحا هذه المرة ايضا اننا كنا نتقاطع وأن أية محاولة لدرء القطيعة صارت مثيرة للازدراء وبذلت جهدا عميقا لئلا أقول لك ذلك قبل أن نصل البحر لقد اردت مرة اخرى أن أتعامل معك عقلا ولم أكن ادرك بعد أن العقل ليس شيئا آخر سوى العاطفة الان صرت اعرف أنك كنت تريدين اخضاعي الى اقصى حد ممكن وكان علي أن أقاومك بكل ما أملك من قوى

ووسائل ولم تكن تلك مهمة سهلة بعد أن تغلغلت في كياني يوما بعد يوم صرت أنت الاخرى سلطة اخطر من السلطة الأم واشق منها على النفس وبدا لي واضحا أنني اذا ما أردت أن اخلع العذار فما علي الا أن ابدأ بك بك أنت التي تسومينني سوء العذاب باسم الصداقة والحب والمعايشة والمساكنة والأشياء الأخرى التي لا تعد ولا تحصى الاشياء التي تقوم عليها اسس الوطن كله من المحيط الى الخليج ما علي أن افعله هو أن احرر نفسي أولا من المستعمرين المباشرين لها المقيمين فيها المشاركين لها في حياتها اليومية منك أنت اذن وقبل كل شيء ولم أكن أتوقع أن يثير فيك هذا الكلام نوبة حادة من العداء والنفور اذ لم ارك الا وأنت تصرخين اسكت اسكت اسكت واعتمادا على معياري القديم الخاطىء نفسه كبحت رغبتي العميقة في تعنيفك وزجرك واظهرت لك وجهي الاخر وجه الرصانة البائسة والرزانة والتعقل الغبي والبرود وهيأت غفلتي التاريخية هذه هيأت فضائي الشخصي لتراكمين نقيضين خطئي وصوابك ورأيتك في سواد الاوتوستراد الراكض تبتسمين ابتسامة غامضة وطلبت منك أن تقولي شيئا ولم تفعلي سوى اخماد ابتسامتك الصفراء اللئيمة وارتجف قلبي ارتجافا كدت اقبض على عنقك بكلتي يدي وأشد القبضة عليه اخنقك خنقا وألقي بك بعد ذلك بعيدا ومن دونك أتابع السير وحيدا حتى الحياة وأحسست بالسم يسري في أوصالي المشدودة سم النزوة الخبيثة التي تلون الحياة بالوانها الفاقعة والمخيفة كان علي أن أواجه في لحظات قليلة من الزمن ما تراكم خلال قرون ومع أن ذلك كان شبه مستحيل في تلك اللحظة فإنني بطبعي المتوتر والفائر شعرت بأنني قادر على فعل كل شيء لا على إنجاز ذلك كله فحسب بل على تجاوزه حتى وشيئا فشيئا امتص الاوتوستراد الطويل حنقي الفائض لحظة لحظة وآزره على ذلك الظلام المتواطىء الذي كان يقوم حاجزا ما بيننا ولم أجد أمامي الا أن اسرع أن اسرع اسرع مايمكن أن اصل البحر قبل الصباح واحسست بالسيارة تبتلع الهواء العاصف تكاد أن تغص به وتموت وعرفت أنت بذلك ورأيتك تنظرين الي نظرات ذات معنى وأنت تتنهدين وقال اما لأمثلن بك قال له اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال له كيف ترى قال افسدت علي دنياي وافسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ومع ازدياد السرعة المجنونة ازدادت تنهداتك الكظيمة شدة وبشكل عفوي سألتك إن كان كل شيء على ما يرام ودون أن تجيبي استدرت عني بعيدا وأنت تصمتين كانت بي رغبة حادة في أن أحكي لك من جديد عني أن اضمك الى صدري أن اقول لك اشياء كثيرة لم أقلها لاحد من قبل أن استفيض معك في شرح تصوراتي واحلامي وعواطفي أن اكسر ذلك القيد التافه قيد الصمت البغيض الذي حرمني متعة

الكلام الحميم والذي سمم حياتي يوما بعد يوم كنت اريد أن انتهي أنا نفسي أن انزع ذلك المسمار الصدىء الذي انغرس في قلبي عميقا مسمار الحذر السخيف والحسابات الباردة والحياد البليد كنت اريد أن اقول لك كل شيء عن كل شيء وبدا لي واضحا انه اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من حديد وأننا منذ أن نحسب حسابا نقبل بالتنازل ومنذ أن نقبل بالتنازل نرضى بالخضوع الا أن عنادك القاطع وتحديك المستمر الابله لي افقدني الحماس وتبين لي في تلك اللحظة الكاشفة مقدار ما تحويه افعالك من العقل ومن ملحقاته وكنت لا ادري فيها من قبل الا الوجد والعاطفة والجموح كان التوازن يختل من جديد وأخذ الألم يصعد في احشائي عميقا يدفع بي الى التغوط من خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فإني قاتل من قبلي ومن كان عندي من ولي من هرب عنك فاعلمني مكانه فأنني آخذ الولي بالولي والسمي بالسميّ ولم يكن أمامي اذا ما اردت أن أقاوم اطول مدة ممكنة الا أن اضع نفسي في أحسن الشروط وافضلها ولم أجد الفرصة لفعل ذلك فمن اين الي أين ومن كيف إلى كيف وجدت نفسي محصورا بين نارين وكياني يتهدم من الضرب والأعضاء وملحقاتها تتشابك فوق جسدي الحسير وكالثمرة المجروحة ألقت نفسها فوقي فاصلة بيني وبين الخيزرانات التي ارتمت هذه المرة على اليتيها محدثة صوتا لحميا غريبا وشبت من الألم الى اعلى وحضنتني اكثر فاكثر وهي تصيح اتركوه اتركوه وبتلذذ سادي عجيب تعاقبت خيزراناتهم عليها وعلي معا واحدنا يدخل في الأخر دخولا لا خروج بعده وهي تركض بي بعيدا واطراف مطارقهم تنوش أردافها من كل حدب ومن خلل ثوبها النيلي الازرق الذي لم يعرف الغسيل منذ أن حطته رأيت اهل الطويلة يجتمعون سراعا ويتفرقون سراعا كطيور مكشوفة هاجمها جمع من الصيادين والدرك يحفون بهم من هنا ومن هناك ومع صيحة حاملتي المستغيثة يا ويلاه انبثقت هاجر من الجمع وبيدها الدلو الاسود المليء ماء ومسامير وترقيعات وبلمح البصر استقر الدلو بمائه ومسامير وترقيعاته وعراه الكثيرة في رأس الرقيب واختلط صوت ارتطامه به بصوتها وهي تنتخي وآني اختك يا خليل وكالعصفور الضئيل تطوح فورا وخر صريعا على الأرض وبدأ الحابل يختلط بالنابل ولم يعد يحمي العالمين حماهم كان عنف السلطة لا حدود له ولا رادع ولا موجب ولا قانون وعقد مرداس العزم على الخروج ورفع يديه وقال أن كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية قال فرجف البيت وقال آخرون فارتجف السقف وكان في القوم كهمس وكان من ابر الناس بامه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بني قد وهبتك لله وكان فيهم عمران بن حطان فقال لما عزمت على الخروج فكرت في بناتي فقلت لامسكن عن تفقدهم حتى انظر فلما كان جوف الليل استسقتني بنية لي فقالت يا أبت اسقني فلم اجبها فأعادت فقامت

اخية لها اسن منها فسقتها فاتممت عزمي على الخروج وبانفعال كبير رأيتك تمسكين صدغك بيديك علامة حلول الصداع المخيف وانت تصرخين في ذلك الليل الاخير كفى كفى كفي ولم تكن تلك الا مرة من مرات كثيرة ننخض فيها انخضاضا وتأكد لي أننا لم نكن نبحث منذ المرة الأولى الا عن الخلاص تلك المرة التي لم نخلص فيها ولم نخلص منها بعد لقد تعقدت الامور كثيرا لقد تعقدت الامور وكانت تتعقد اكثر فاكثر في كل مرة نعيد فيها الكلام نفسه والسلوك نفسه والارتكاس نفسه والنقد نفسه صرت اريد أن افهم بعمق كيف يتحول الانسان دون ارادة منه أو وعي الى مجموعة من العرات أو التيكات أو الحركات و الاسلوكات التي تتكرر في اوانها وشدتها وهيأتها ومقوماتها الاخرى وكيف يغدو سريعا وباسرع مما يتصور كائنا لا محتوى له ولا معنى ولا مآل وكم صار يخيفني أنك صرت تعرفين تماما وبدقة خارقة للعادة دقائق حياتي اليومية كلها تعرفين متى أنام ومتى استيقظ ومتى أبول ومتى أتغوط ومن أحب من الناس ومن لا احب واكثر من ذلك تعرفين متى افضل أن البس قميصي الأسود أو الابيض أو الخمري أو لا البس شيئا على الأطلاق وتعرفين ايضا متى يقوم علي ومتى لا يقوم ومتى اكون صادقا وكاذبا وبين بين ومن أول نظرة الى الناس صرت تعرفين أنني سأحب هذا واحقد على ذاك وسأتواطأ مع الاخر وتعرفين تماما وبمقدارما اعرف أنا نفسي انني افضل وجه احداهن أو عيونها أو نهودها أو طيزها أو لا شيء منها على الاطلاق وانني وانني وانني واكثر من هذا كله صرت ابرع مني بكثير في تقطيع حياتي الخاصة الى قطاعات قطاعات ووصف كل منها وصفا خاصا ودقيقا ونقده وتقويمه واكثر من مرة توليت بنفسك الدعوة الى تجاوز بعضها ونسيان بعضها الاخر وحتى حذفه من تارخي الشخصي كله واكتفيت بأن اشرت اشارة تذمر عميق كدعوة صامتة للصمت واقشعر بدني فورا ومع ذلك تمالكت نفسي وحاولت أن اقول لك شيئا هادئا بهدوء ولم تدعي كلامي يولد لقد أبديت رفضا قاطعا وعميقا وكأنك كنت تعرفين مانويت قوله سلفا واسقط في رجلي كيف يمكن أن يمر من تحت انفي مثل هذا السلوك المريع والذي انسلك الان لو لم اقم على مدى سنين طويلة بتزييف الكثير من القضايا المزيفة اصلا وبدا لي أن اساس ذلك الخطأ الكبير يكمن أولا وآخرا في مواجهتي الملتوية للأمور وليس فيك وتملكني نوع من الحمى المفاجئة والمطر ينهمر مدرارا وليس مايقي منه الا الحيطان الحجرية العوجاء ومع التواء شارع الجامعة العتيق التوى جسدك البض التواء عنيفا وكدنا نصطدم وتوقفنا معا في المكان وتطلعت الي مأخوذة فرحة وأنت ترددين هيه صار لنا زمان كان الصيف في أوله والنهار مهيباً ودمشق حية وصاخبة ومنذ اشهر لم ار منها شيئا وضحكت بخبث وأنت تقولين عملتها ودافعت بجد عن حالي هم عملوها دون

أن اتطلع اليك كانت عيوني تلوز يمنة ويسرة ولم يفاجئني سؤالك المريب تبحث عن أحد ولم أرد أن أقول لك انذاك انني ابحث عنك وكدت أقوله ومع ذلك قلت ببساطة ابحث عن امرأة نارية العينين والشفاه والجسد إمرأة مهتوكة الستارين في الهوى معلمة ترود من مجاهلي مالم يرد ودون أن تعلقي بشيء استدرت فورا ومشينا معا والتصق جلدي الاسود العابس بجلدك الاسمر اللطيف المحمص بشمس الشام ونسيمه العليل ورأيت الشهوة المربكة بعيني هاتين تعبر نسيج بدنك عبورا آسرا وعميقا ومن الباب دخلنا وتجولنا صامتين في ممرات الجامعة العشبية المليئة بالمكبوتين والمنزوين والناظرين ولكي افسح المجال للاخرين التزيت عليك وعمدا ربما لامس طرف زندي عبر الثياب الرقيقة ما يشبه حبة نهدك الايسر فارتجفت ارتجافا ورأيت زغب وجهك يكش وبشرتك تصفر وكدت تقعين على الأرض وبدلا من أن تبتعدي عني التصقت بي بخدر ونعومة واستسلام وكالمنومين انتحينا جانبا ومعا وقعنا على الأرض وبلا حذر أو حدود ارحت جسدك اللين على جسد المشدود وأخذ الظلام يعم الكون وبين ارتخاءة العين واغماضها لجت الاصوات تغزونا تنبع من القاع تنصل من اعلى تنبعث من الجوانب جميعها متجهة الينا عابرة شتى الامكنة والاتجاهات والحواجز والخراسانات والاحجار التاريخية الهائلة والحيطان السميكة المبنية منذ قرون وشاركها في عدوانها الصاخب علينا اشجار الجامعة واعشابها وورودها وعيون حراسها المحبطين ذوي الاقمصة البنية السميكة وكأننا احدثنا خللا كونيا عميقا استعانوا علينا بالشرطة والجيش وحراس الاخلاق وعبيدها والمدافعين عنها والمتحمسين لها ومع ذلك تابعنا هبوطنا الليلي نحو الجنوب كان علينا أن نصل البحر قبل الصباح وبحقد شديد قلت بحر الخرا ولم أقل أنا شيئا كانت السرعة قد اخذت تستبد بي من جديد وعلى الاوتوستراد الممهد بعناية تسابقنا عضوا لصق عضو وخيل الي انني اسبح في بحر من الاشلاء الحمراء الصفراء السوداء المشوية شيّاً المنلاخة بتراب الجنوب اسرع اذن اسرع الجنوب الجنوب ومن بعد الجنوب الجنوب وأز فوق رؤوسنا الأزيز وتبعثر من تحتنا الأوتوستراد وكالعصافير المطرودة ركضنا من جديد وبلا حياء تعلق بي وتعلقت به لنرجع الى البيت لنرجع واصفر وجهه لن ارجع الى البيت وركضت وراءه الى اين الى اين قال الى هناك وهذه المرة أوقفته بعنف ماذا تريد أني تفعل وتفّ نفسه باستياء مني اريد أن اموت وكأن الغيب انكشف لي فجأة قلت وأنا كذلك وسمعتك تضحكين ساخرة بالحكي بس كدت التهمك التهاما التهمك نيئة ومشوية بعد أن افعر زبقك واكشف عورتك الحصينة للملأ وفي قلب سوق ــ ساروجة ادعك مبثوثة في الزقاق ودون انتظار قبضت على شفتيك ومنهما ارتفعت الى العنق ومن العنق الى الأنف ومنه استدرت احيطك من الأذن الى الاذن

وقبل أن اقاطعك وتقاطعيني انحرف الاوتوستراد في دائرة ضيقة وطويلة ومعه انحرفنا ونحن في أشد حالاتنا سرعة وتحركنا في مقاعدنا دون أن نبرح المجال وعندما استقام السير عاد كل منا الى مكانه دون خل أو ضجيج ومن جديد وجدت نفسي مأخوذا بصلافة الليل وشموله وأنت تتذمرين ماكان يجب أن أجيء ماكان يجب وصرخت أنا محتجا على تذمرك صراخا بلا كلام وكأنني نسيت انني كنت أنا الاخر أعاني من اعراض هذا المزاج الكئيب المحبط المتردد اليائس مزاج الحياة العقيمة المسدودة التي لا منفذ لها ولا سبيل وصرت تتساءلين ماذا قلت ماذا قلت ولم أقل أنا شيئا وهل كان بامكاني أن اقول شيئا بعد أن قيل كل شيء واعيد قوله وقيل ما اعيد وبفعل كلامي الصامت الذي لم تسمعي منه شيئا اصابتك نوبة من الانزعاج العنيف وملأ الصياح القديم فمك الشهواني الاصفر حل عني حل عني وتطلعت اليك مذهولا مما اعتراك فجأة وكأن انتقال العالم من النور الى الظلمة لم ينقلك من حالة الى اخرى ومع أنني صرت مع تقادم الليل وتراكم المسافة والزمن خلفنا أحد ردا واكثر توترا واسرع انفعالا فانني كنت اتصور انك صرت على العكس اقل تشنجا واضطرابا الا أنني اكتشفت الان أن ردود فعلك كانت آلية انفعالية عنيفة وراديكالية حتى كنت أحاول أن أفهم ما حدث وكنت تريدين أن تنتهي منه كنت اريد أن استخدم حالتنا كموضوع معرفي يمكن تحليله ونقده وتعديله وكنت ترين أن ما عشناه إما أن يكون مقبولا دفعة واحدة أو لا يكون كنت في مرحلة إما ــ أو وكنت في مرحلة بين المرحلتين مرحلة لا اعرف لها اسما ولا تصنيفا كانت تتملكني حالة من حب الاستمرار من الرغبة في وصل القديم بما أنا فيه وكنت تريدين كما فهمت اجراء قطيعة كاملة فورية وكانت تلك هي رغبتي بالاصل ودون مبالاة قلت رغبة من ينفذها وبين ما كنت اريد وما كنت تريدين كانت الامور تتعقد اكثر فاكثر وببرود شديد قلت كلما تعقدت الامور سهل حلها وكانوا كلما اخرجوا امرأة معهم فظفر بها قتلها ثم عراها وصرن اذا ما دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا وعند التقاء الروضة بابي رمانة وقفت واستدرت كليا لالقي النظرة الاخيرة عليها على يدي الممدودة بوقاحة وبرغم ذلك بقيت ساكنا في مكاني أعدُّ اضواء شارع الروضة ضوءا بعد ضوء كنت اعرف أنها الليلة الاخيرة انذاك وكانت بي رغبة غريبة لأن احملك فوق ظهري وأطير واقتربت فعلا منك ووضعت ساعدي الايمن تحت ردفيك وبالايسر احطت ظهرك وقبل أن اطير بعيدا صرت تتفلّتين اتركني وافلتك تدريجيا لتنزلقي بلحمك على لحمي من أعلى الى اسفل وبمساحة الجسد كلها وبدت دمشق جميلة شفافة واحسست بالشهوة الغامضة تجتاز اعضائي كلها تتجمع في رؤوس اصابعي وتهيأت لأمد يدي اليه وتخيلته شقا صغيرا خاتلا بين فخذيك كالشحرور وقبل

أن افعل ذلك استدرت ناظرة الى البعيد وأنت تتنهدين أريد أن أعود ان اعود وبلثامة سألتك تعودين الى اين وكأن كلامي لم يكن مفهوما منك أعدت كلامك القديم نفسه وقبل أن تتمي اللازمة أزت العجلات المطاطية الساخنة وهي تحتك بقسوة بالاوتوستراد احتكاكا عنيفا ودون تردد احطت من بعيد جسدك بذراعي الايمن دون أن الأمس منه شيئا وبحركة حاقدة وهازئة فتحت لك الباب يلا انزلي ورأيتك تحدقين في الليل تحديقا غريبا ولا بد أنك سمعت كما سمعت أنا انذاك ذلك الضجيج المكتوم الذي كان يملأ فضاء الليل من حولنا ويحيط بالكون من جميع الجهات وبنفس الحركة المبتعدة واللئيمة اغلقت من ورائك الباب دون أن الأمس منك شيئا وتابعنا المسير كان علينا أن نصل البحر قبل الصباح وبدا الليل يحث خطاه يسابقنا هو الاخر على الوصول وقبل أن يعود هدوئي الي تتابعت الاضواء في عمق الليل لاحقة بي سابقة لي كنت اعرف انني اخطأت وصرت ادرك الان أن الخطأ لا يصلحه الا خطأ اكبر منه وبكل مالدي من إرادة وعزم اكملت الطريق وأنت بجانبي مضطربة قلقة متفحصة للعالم الجديد ومن حائط الى حائط نقلت نظراتك المتسائلة باحثة عما لا يوجد في الجدران مافي كهربا هون قلت ما في وعاد الصمت ينضاف الى ظلام المزّة الغريب ومن هنا وهناك مرت بعض الأزوال حولنا بحذر وذهول رجل وامرأة في نص الليل وفي اطراف المزة البعيدة وبين الاشجار الخالية من كل انس وجنس وكأن ذلك أخافك أنت ايضا وقفت فجأة وقلت لنعد وكأنني لم اسمع شيئا تابعت سوالفي الملهية لك كان علينا أن نصل في الوقت المحدد وما أن حاذينا الساقية الصغيرة وقفزنا فوقها باتجاه باب خشبي مكسور حتى شهقت بانفعال تسكن هنا واجبتك بكلام غامض غير مفهوم كنت قد رأيت في اللحظة نفسها الزول يتختل كالحرامي يريد أن يفاجئنا ولست ادري بأية وسيلة نقلت اليك هذه الخشية فقفزت معي الساقية بالاتجاه المعاكس وغطسنا في الظلام ومع ذلك تبعنا الزول ومر بنا بطنا وظهرا وعندما غاب رجعنا سراعا الى المكان وهذه المرة بدت الساقية وسخة ضحلة مملوءة بالرقع والوحل والقشور وفوق سطحها المسطح برداءة تتطاير جموع من البعوض والبق وذباب الليل الذي لم أر مثله في حياتي وكدت أقول لك ها هي ذي رعيتي أنها تحيينا الا أنك قلت قبلي والعجب يملأ صوتك والخشية ايضا صحيح تسكن هنا واجبت بنوع من التحدي البائس طبعا اسكن هنا وهنا فقط وتلبسك نوع من الحب الحزين الذي لم تبرأي منه حتى الآن وأنت تتطلعين الي وإلي المكان وبك خلل عميق وكأنك ترين كونا آخر لقد تبدل عليك العالم أذن ولما تبرحي دمشق وبدا عليك أنك لم تفهمي بعد كيف يمكن أن يوجد هذا الاختلاف كله بين الروضة وهنا وما بينهما غير آلاف الامتار وكأن ذلك

اخافك وحطم الطمأنينة المستتبة في اعماقك بدأت تتهربين أريد أن اعود اريد أن اعود
وقررت في سري أن ابقيك أن استخدم الوسائل جميعها بما فيها الحقيقة لاقناعك بالقبول
كنت اعرف أن الشيء الذي لا ننجح في فعله هو الشيء الذي لا نعرف كيف نفعله
وهل كان بامكاني أن ادعك تعودين بعد أن قطعنا هذا القدر كله من كل شيء بعد أن
انحدرنا من قاسيون الى القاع واجتزنا المساحات قدما قدما من الروضة الى أبي رمانة ومن
أبي رمانة الى المالكي ومن المالكي الى أمية واحطنا بالمعرض نصف إحاطة ونحن نستمع الى
صوت فهد بلان العالي يلعلع في الانحاء لاركب حدك يالماطور ركب الطيارة غية وكأنه
شاهد صوتي على عصر الانحطاط العربي الجديد وتحايلنا على الليل ليمضي سريعا سريعا وبعد
أن لمسنا جذوع اشجار شارع بيروت العالية جذعا جذعا تلك الاشجار التي ذكرتك
بها هنا منذ أن رأيناها هذا هو شجر الشام لا تعالي أدخلي في ملكوتي وبلا مقاومة أطعت
يدي التي كانت تمسك بك بتوسل ورغبة وحنان وقفزنا الساقية معا نحو الباب
ودفعت دفته اليمنى بيدي اليسرى خلسة فانزاحت فورا وفغر المكان فاه وتعجبت من
جديد بابك مفتوح ودون أن اقول شيئا ولجناه ومن عتام النافذة الوحيدة تطلعت شمالا ولم
ترى الا الخلاء والماء الوسخ يتدحرج تحتك في الساقية الصفراء الصغيرة ومن شقوق
الاطار الخشبي اليابس نفذ اليك نسيم آخر الليل الدمشقي العذب بعد أن اختلط
بأحماج الساقية وتكويناتها وغدا هواء لزجا نتنا وثقيلا ورأيتك تملاءين به انفك بعمق
وتذوقينه بامعان وكأنك كنت تريدين أن تدركي كنه تلك الرائحة التي لم تعرفي لها من
قبل مثيلا وبعد أن تمليتك من القفا والخاصرتين ارتكيت معك على حفاف النافذة
الوحيدة في ذلك الظلام ظلام الليلة الاخيرة تلك وكأنك خشيت أن يجرحني ذلك لم
تبعدي انفك عن مهب الريح وأنت تسأليني بتهيب وارهاق لماذا لا ينظفونها وسألتك
بفضول من هم قلت البلدية وكان تلك كانت نكتة مقصودة ضحكنا معا ونحن
نتمرامى على الارض ولست ادري كيف رفعت رأسي كان الزول هناك وقبل أن تلحظي شيئا
قمت واقفا وأوقفتك معي وتعجبت انت ماذا بك وبأسيلوب أهوج وأعوج ومرتبك وبكلام
مسهب وطويل ولا يفهم منه شيئا شرحت لك الامر ومع ذلك احسست بك تفهمين
علي ولم يكن أمامنا الا أن نمشي أن نغادر بيتنا الحر المكان الوحيد الذي كان يمكن له أن
يحمينا ولم يقدر هو الاخر على ذلك فاذا لم تكن السلطة دائما على حق فإنها لا تخطيء
ابدا ودون تردد استجبت لي بعمق لنمش اذن مشينا مذلولين دون سبب مذل ولم اشأ أن
اطلع وراء كنت متأكدا من أنه يقف في قلب العتمة يراقب حركاتنا وتلاشينا كان علينا
أن نسرع اذن أن نسرع اسرع ما يمكن أن نصل البحر قبل الصباح وهذه المرة أنا الذي

صرخت بحر الخرا وزدت السرعة سرعة وباحتقار كامل نفثت سمك في وجهي مجنون مجنون تريد أن تقتلنا ولم أرد عليك فلقد احسست لأول مرة بوضوح أنني لم اعد راغبا في الشجار كانت تملأني رغبة عنيفة في أن اصل البحر أن استحم بمائه البارد قبل الفجر أن ادفن نفسي فيه أن اتبول واتغوط هناك على حصى الشاطىء الذي تركته منذ سنين وخطب في الناس فقال فالقوهم بجد وحد فإنهم هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص في احسابكم واديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤوا حريمكم انحدر الطريق انحدارا عميقا جرني جرا الى ملاحقة الضوء الذي خفت فجأة ومع ذلك تطلعت يمينا ويسارا والى امام وبدت في ضوء الليل الشفيف قمم السلسلة الغربية تتوالى قمة قمة وصوت حسان يتردد بينها خائفا مرعوبا انتظرني انتظرني وبضجيج المحرك اللاهث اختلط ضجيجك وأنت تصرخين توقف توقف وتساءلت وأنا احافظ على السرعة نفسها ولم تريدينني أن أتوقف وتابعت صياحك دون شرح توقف أقول لك توقف ودون أن اغير السرعة أعدت عليك السؤال نفسه وهذه المرة قلت بغيظ اريد أن ابول وكأني لم اسمع شيئا حافظت على التسارع المخيف نفسه وبدأت أنت تدقين بجماع يدك على لوحة القيادة دقا دقا وأنت تصرخين وبشكل آلي تماما ظلت السيارة تأكل الأوتوستراد وظل الليل ينحذف خلفنا حذفا وشرائط الضوء تتقدمنا بشكل ثابت ورأيتك هذه المرة تقفين نصف وقفة تفكين ازرار بنطالك الازرق اللاصق باحشائك وباستعجال تدفعين بسروالك الابيض الصغير بعيدا وبلا قيد ترخين لمثانتك العنان وتحت الضغط المزمن انبثق البول منها انبثاقا حارا ساخنا وسريعا ملأت سيلولته المكان ونفذت رائحته الخاصة الينا وقلت بتحد هكذا يجيء البحر اليك وتنشقت بلا اهتمام تلك الرائحة السكرية الواخزة متعمقا فيها مستذوقا طعمها الليلي الصاخب وأنا أبربر البحر البحر ويوما بعد يوم اعدت على مسامعك لازمتي المستحيلة لن اسكن مدينة لايحدها البحر وبكل ما تملكين من طاقة على الهزء والسخرية قلت شفناك وين كنت ساكن واشتعلت النار في قلبي اشتعالا والتفت عنك بعيدا وبصقت بقوة وحقد بورجوازية الكلب وبسخرية ضاحكة اقسى قلت حسد والا غيرة وقبل أن اتناولك شق الفضاء أمامنا وزحف علينا عاليا شديدا صافيا وملأ باشعته الباهرة أعيننا وأنا أتساءل بلجاجة واضطراب ماذا جرى ماذا جرى وقبل أن أتم القولة الثانية كان الضوء قد غاب ولم نعد نرى منه الا ذيولا بيضاء مبتعدة ونقاطا حمراء واقل احمرارا واقل اقل احمرارا سريعة الغيوب واردت أن اقول لك شيئا ولم استطع كنت أريد أن اقول لك أنه لم يعد يحلو لك العيش الا في جو من التوتر والحقد والارهاب وانك لم تعودي تختلفين عن السلطة الكبيرة الا في أن تسلطك تسلط مباشر وحميم يدخل النفس رأسا دون حواجز أو غلالات وأنه لا

خلاص منك الا بالخلاص من الذات وأن مواجهتك صارت اصعب من مواجهة العالم كله واشق وبدلا من أن تتعمقي فيما لم أقله لك قلت مغالبة أنا والا أنت قلت لا يهم قلت بلى يهم يهم كثيرا وقلت وقلت وقلت واخيرا وقف الكلام في حلقي لم اعد راغبا في متابعة المحاججة والعتاب صار يملؤني القرف والاشمئزاز من معالجة الامور التاريخية الفاصلة معاملة حقوقية بائسة معاملة همها الوحيد أن تحط الحق في فعلة جزئية عابرة من الحياة على واحد منا بدلا من أن تأخذ بعين الاعتبار التوجه الجذري الجديد للحياة باكملها وباتت المعادلة القديمة ليس الحق علي الحق عليك تثير في نفسي الغثيان وبشكل مباشر وصريح قلت لك ببساطة صرت مستاء من كل شيء ذلك هو كل ما في الامر وببساطة قلت رأسا ببساطة صرت أنا الاخرى كذلك ولم يزدني ذلك الرد التافه والغليظ الا نفورا على نفور ونحن نتابع اختراقنا الليلي لليل وبتصميم قررت أن أوقف تشنجاتي الحادة وأن أحاول الامساك بزمام ذلك الاستياء المخيف وأن أتحرى بشكل جذري وفعال اسباب ذلك التآكل الذي لم يعد قابلا للاحتمال الا أن الامور كانت اكثر تعقيدا مما كنت اظن وتبين لي أنه إذا كنا نقبل بعض الأشياء ببساطة وبعضها نقبله على مضض ونرفض بعضها ببساطة وبعضها الاخر نرفضه على مضض فإن منها ما لا نقبله ولا نرفضه لا ببساطة ولا على مضض ومنها ما لا نقبل حتى مجرد التفكير فيه أو التعرض له أو التكلم عنه وما بيننا كان لا يزال يقبع في هذه النقطة المظلمة الميتة والسحيقة ومع آخر كلمة انفلتت مني بشكل عصابي قاهر ضحكة مجزوءة مكتومة وكأن تلك الهأهأة كانت مسبة قاسية لك قلت تضحك لماذا وارفقت التساؤل بجملة من علامات الغضب الفيزيائية وبصدق قلت لك اضحك على حالي ودون تردد قلت معك حق آن لك أن تضحك ولم ارد بشيء كنا نخترق مقاومة الهواء المتزايدة بفعل السرعة بصعوبة ونقل الى اصطدام الهيكل بالريح والليل نقولات غريبة ناتجة عن الرجات الغامضة التي كانت تصب في مفاصلي رجة بعد رجة وبعث ذلك كله في اعضائي واحشائي إحساسات تشبه الى حد بعيد تلك الاحاسيس اللذيذة المرافقة للاحتقان الذي يغير أول ما يغير ملمس الاشياء وماهيتها وكأنك أنت الاخرى اصبت بذلك رأيتك تتحسسين في مكانك وتهتزين ولست ادري كيف غاب هذه المرة الزول وبدا العالم عبر زجاج النافذة الوحيدة ذات المنخل المعدني الصدىء خاليا من كل رقيب وبلا ابطاء رميت بك على الارض واحسست بصدمة فقارك عليها وفورا تفلت هاربة مني وجلبتك برقة الي واندفعت راكضة تحتي وتدافعت سائلا فوقك وأخذت تدغدغين بيد احشائي وبالاخرى تمسكين ببطنك عبر الثياب ومن حركة ملهوفة الى اخرى استطعت أن احرر اخيرا بعض صدرك ونهديك وأنت لا تزالين تقاومين مقاومة محمومة

ولذيذة دون اعياء وبحركة عشوائية غامضة مسته احدى يديك مسا واحسست بك ترتعشين ارتعاشات غريبة وأنت تحاولين سحب يدك منه والتصق بها اكثر والتصقت هي الأخرى به ومع ذلك تابعت سحبها عنه وعندما تمكنت من سحبها اخيرا كنت تسحبين معها من جسدي كل شيء وكأن ذلك حدث للعالم كله بدأ كل شيء ينام ولم يبق حولنا الا صفير الريح الخفيف يعلن دون توقف مرور الليل المستمر حتى البحر وبنوع من الراحة وهدوء البال نقلت بصري بين الظلام وبقعة الضوء ومرارة خفية تسكن نفسي كنت بحاجة الى أن امسك بيد أحد ما أن استريح عليه وكنت قريبة جدا مني ولم امد يدا اليك كنت اعتقد أنك كنت تعانين من الرغبة والحاجة نفسيهما ومثلي كنت تنتظرين أن تأتي الحركة الأولى من الاخر وشعرت بالقرف الشديد من ذلك كله صار مجرد التفكير في العرف السخيف دعه يبدأ قبلي دعه يفعل ما لا افعله كافيا لقتل كل رغبة لدي لشل فعاليتي وايذاء متعتي وكدت اصرخ في وجهك المحايد لماذا لا تمدين يدك لماذا وبدا للعنف طعم مرير ولون قاتم ومخيف ومع ذلك كنت مدفوعا بنزوة لا تقهر الى ممارسته وتذوقه والتمتع بابعاده واقبل علينا الحجاج فقال مالي اراكم صفرت ايديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد أن العاصي يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصي اميره ويغر المسلمين والوالي مخير فيه أن شاء قتل وأن شاء عفا وانتظرت بفارغ الصبر كلامك الذي لم يغادر حناياك واحسست بالحقد يحرق قلبي حرقا كان علي آنذاك أن الف فورا وأدور عائدا من حيث اتيت الا أن قدمي لم تطاوعاني كنت ادرك مذ ذاك ان التمادي في الخطإ خير من الرجوع اليه وبدلا من أن تخف السرعة الهائلة في ظلام الليلة الاخيرة تلك اخذت تزداد اكثر فأكثر كان الليل قد سحرني وانتهى الامر وبدا الوعد بالوصول الى البحر اغراء لا يقاوم وتبين لي أن تناقص المسافة المستمر والفوري وتراكمها وراء وبشكل آني متعة ميتولوجية لا يمكن مقاومتها أو الاحاطة بها وخطر لي أنه اذا كان الزمان كما تعلمناه وربما كان ذلك خطأ كبيرا غير قابل للاستيعاب فإن المسافة اكثر امعانا منه في ذلك وأن المكان برغم كونه ملموسا مثل الزمان نفسه لا يمكن له أن يستعاد أويعاد وهو مثله تماما لا يصلح للاستعمال مرتين ولأول مرة احسست انني كنت اقترب اكثر فاكثر من فهم تلك العلاقة المشبوهة بيننا علاقة الحب المريض وتجسد لي بشكل غير متوقع ذلك التواطؤ الخبيث الذي ربطنا منذ أول لقاء ولم أعد أفهم الان كيف اقنعت نفسي طيلة فترة ما قبل الان بأن ذلك التواطؤ كان تواطؤنا معا ضد العالم مع أنه لم يكن كذلك ابدا ابدا وكدت اعترف لمن لا ادري وأنا على الأوتوستراد بخطئي الجسيم ولم افعل سوى زيادة السرعة سرعة صرت مؤمنا أنه لا فائدة من التوقف بعد الان وليس علي الا أن اصل البحر قبل الصباح

ومنذ أن اصل علي أن احرر حياتي بشكل جذري من الغموض والاختلاط ودون أن يطلب أحد منك رأيا قلت باستخفاف هذا كله بديهي ومع أنه لم يكن بديهيا أبدا ومع أنني صرفت سنين طويلة من حياتي من أجل إدراكه ادراكا فحسب فلقد سمحت لنفسك أن تحكي ببساطة تلك الجملة اللئيمة المحقرة التي كادت أن تعصف بي وبتمعن نظرت اليك ولم ألمح على محياك سوى تلك الملامح البغيضة ملامح اللامبالاة والارتياح ملامح التسامح الكاذب والتعالي الخداع التي كنت تحيطين بها نفسك في كل مرة تواجهين فيها ما لا يثير فيك الا الحنق والغضب والنفور صرت اعرفك الان اعرف انك تبدين المهاودة واللين وأنت تمتلئين في الحقيقة برغبة عميقة في التسلط والاضطهاد وفي اخضاع الاخر اخضاعا لا حد له ولا قرار وهالني كم كان التشابه بينك وبين السلطة كاملا ووثيقا ولم أكن أعي بعد كيف تعلمت طرقها وأساليبها وآمنت باهدافها وامثالها في قهر الاخر وقهره وقهره واحسست بي افقد كل سند في ذلك الليل بعد أن اهترأ المأوى الذهني والنفسي والاخلاقي القديم ذلك المأوى الذي احتميت به زمنا طويلا ورتبت وفقه حياتي وعلى اساسه بنيتها واحسست بكآبة لا شكل لها ولا مسار تطأ كياني كله وبنوع من الارتداد العنيف الى الذات لم اعد ارغب حتى في تمييز الابيض من الاسود شيء واحد فقط لا يزال وقبل أن أنم عنه هجمت علي بخوف وقلق واضطراب وكأنك مسؤولة عن كل ما يحدث في هذا العالم ماذا تريد ماذا تريد وبهدوء قلت ما اريده هو ألا أعود الى مكان كنت فيه من قبل ولا الى الزمان كنت فيه من قبل هو الا أتوقف بعد الان وتطلعت الي بعجب وكأن الفاظي لم تكن ذات معنى لقد تخالفنا اذن لقد تخالفنا وكما تراكم الزمن بيننا حطاما فوق حطام تراكمت فينا مخلفاته واحواله واهواله وغدا احدنا لا يعرف الاخر الا بالاسم وبوجل اقتربت هائبا خائفا والدمع يترقرق في عيني واعضائي يصيبها التشنج والذهول وكما يكشف الحجاب عن شيء منتظر منذ امد طويل كشفت الحجاب الابيض الوحيد وبدا الجسد في ابشع حالة من حالاته والأمها الجلد يلتصق بالعظم التصاقا والعينان مفتوحتان الى اقصاهما تحدقان في عيني وقد اصفر بياضهما اصفرارا مخيفا ويبست الاجفان التي فقدت مرونتها الحية وبدت الاهداب صلبة مستعدة للكسر منذ اللمسة الأولى وفي منتصف الوجه الخائب والخائف برزت الوجنتان بروزا واحاطت بهما الانخفاضات والاجواف من كل الجهات ومن شق الفم الذي توسط المساحة اسفلهما ظهرت الاسنان مرصوفة صامتة كامدة اصدافها صفراء ناشفة متشققة وتشنج الفك تشنجا غريبا ناجما عن صدمة قوية وفي البعيد ارتمت اليدان ارتماءا عشوائيا خالصا ولم تعد مكوناتهما قابلة للتمييز وعلى الجنبات لمحت خطوطا كثيرة متقاطعة متداخلة مشكلة فيما بينها زوايا مختلفة الاشكال والحجوم والهيئات وبحثت عنه بعيني عنه

هو بالذات هو الذي استبد بي الشوق اليه واحسست بك تدفعين بي عنك بعيدا وانت تقولين انتظر انتظر وتوقفت مشدوها وأنا اراك تنزعين ثيابك قطعة قطعة وتهجمين علي تعال تعال وما كان لي أن اتقدم أو اتأخر صرت دفعة واحدة لي وكنت مستعدة لكل شيء ولم ار منك الا عينه المفتوحة على سعتها كعين الميت منذ قرون لقد مات هو الاخر اذن لقد مات ومن اعماقك المرعوبة الملوعة المفعمة بما لا يستطيع احد أن يفهمه او يقدر عواقبه أو مداه صرخت بعنف بعنف تريد أن تقتلنا تريد أن تقتلنا ودون أن اعيرك اهتماما أو انتباها حافظت على اقصى حالات السرعة الممكنة في ذلك الليل ودون اذن منك ضغطت فجأة بصلابة فخذي كلها عليه فصرت الدواليب الاربع وهي تحتك بوجه الاوتوستراد احتكاكا عنيفا مصدرة صوتا حادا قاسيا اخترق الليل حتى اقصى نقاطه واحسست بي وأنا اتوقف بصعوبة وخطر انني كنت أتأرجح بين حلمين حلم الخلاص من القديم وحلم الالتقاء مع الجديد ومنذ أن كف المحرك عن الهدير تركتك جاثمة وخرجت وعلى طرف الاوتوستراد الذي غشاه الظلام في ذلك الليل الغريب لقحت فورا جسدي وارتخيت وسمعتك تحكين لنفسك بحرقة وألم وأسف وخوف ولم أقل أنا شيئا كنت خارجا ووحيدا وما كان بنفسي من الحكي صرفته فليس له أن يحكي بعد الان واكتفيت بان ملأءت رئتي هواء وأنا اتلفت شرقا وغربا وقبلة وشمالا والى الجهات جميعها معا دون ان ارى شيئا في ذلك الظلام العتيم وكصياح قادم من بعيد سمعت خبطك على الباب وفهمت أنك تستعجلينني وبلا ادنى حذر صرخت نحوك من بعيد لن نصل البحر بعد الان لن نصل وحقنك ذلك شرا مستطيرا وفي عمق الليل نظرت نحوي نظرة زعل وحقد نظرة حمراء ثاقبة برقية واخترق الشرر الذي تطاير من عينيك ظلمة الليل اختراقا اسرا وكشفت حزم الضوء الظلام وتحت برق عينيك الباهر والمستمر بانت حقول الاقحوان تملأ الأفق البعيد وشقائق النعمان تلوث الفضاء بحمرتها الاخاذة وبين سيقانها الرفيعة امتدت جذوع الخطمية الرشيقة نحو السماء وفي المجال تزاحمت اعشاب اخرى ونباتات وطفيليات زحفت جاهدة تريد النور وصلنا اذن لا لم نصل بعد بلى وصلنا ويشق فجأة سكون الكون المهيب صوت ارتمائك على الارض واختلاطك السريع بكائناتها النباتية المختلطة وهذه المرة تجاوبت معي فورا فارجة فخذيك المليئين كاشفة بشكل تلقائي خطير عن نصفك الأسفل ونصفك الأعلى وصرت اتفقد اعضاءك عضوا عضوا كان لك طعم غريب طعم آخر لم اعرفه من قبل ولم آلفه وأخذت اتعمق فيك اكثر فاكثر وأنت تحتمين مني بي واخيرا بلغ السيل الزبى وغطى جسدك الرذاذ وكالساحرة العروفة صرت تطلينك بما استخرجته مني وانت ملقوحة على القاع والجنود يمرون من تحتنا مثنى وثلاث ورباع وخماس

وسداس وسباع يمرون مكسوري الهيئات والعيون وعلى رؤوسهم خوذاتهم الثقيلة التي لم يستعملوها والتي بدت في وهج الشمس كابية برشاء مطلية ببقع مختلفة الألوان والحجوم بقع من أوحال الجولان وانحائها أوحال صنعوها بأبوالهم خشية الماء وكالمأخوذة تتبعت اصبعي التي اشارت بدقة عجيبة اليه انظري انظري الم اقل لك ذلك ولم تستطيعي أن تقاومي انفعالاتك التي اجتاحتك من كل حدب وصوب بعد أن رأيت رؤية العين وسمعت سمع الاذن ولمست لمس الجلد ما لم تعرفي مثله من قبل وشيئا فشيئا تحولت من نقطة السكون الى بؤرة التوتر والتشنج والاحتجاج لم فعلت ذلك لم فعلته وبلا تأخير رأيتك تركضين ركضا حادا وعنيفا وبأعلى اصواتي ناديت وراءك من بعيد ولم تسمع الشمس صيحاتي هي هي ياأهل الشام ياأهل الشام ظلت الشمس عالقة في جوف الكون حمراء صافية مسعورة تشهد كل شيء واحسست بالسيلان ينحدر من الجبهة الى الابطين ومنهما الى السرة ومن السرة الى الفخذين العرق العرق العرق اتسلخ اذن اتسلخ ولم ار منك الا القفا والشعرتين وانا اقفز مذعورا فوق عيدان بردى المعدنية لاحقا بك هذه المرة حتى الغار وقطع مرور الجنود الذي لم يتوقف طيلة العام مروري الحثيث اليك ولم يبق علي الا بعض الهدوم ومن انكسارهم القاتل تعجب الجنود مني وتعجبت منهم مهزوم يتعجب من هزيم ثم أن حارثة لما تفرق الناس عنه اقام بنهر وحده فعبروا اليه فهرب يركض حتى اتى دجيلا فجلس في سفينة فاتبعه جماعة من اصحابه فكانوا معه واتاه رجل من تميم وعليه سلاحه وهم وراءه وتوسط حارثة فصاح به يا حارث ليس مثلي ضيع فقال حارثة للملاح قرب فقرب الى جرف وليس فرضة هناك فطفر الرجل بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعا وبكل ما أوتيت من قوة وبأس واحتمال ذهبت ابحث عنك كنت اعرف أن جلدك لايزال طريا طليا بالرطوبة البيضاء الناعمة وأنك لاتزالين كالقطة الحانية تلعقين بعض انحائك لعقا ومثلها تريدين تلطيف ما كان منك لطيفا وصرت تصيحين تصيحين وهذه المرة ضاع صياحك في ضجيج كائنات الليل الاخرى كان الوادي يتحرك كله الى الجبل والجبل يتحرك كله الى الوادي والتقى الكائنان فوقي التقاء حميما ولم أرك وأنت تفتحين الباب فتحا عنيفا وتلقين بنفسك علي صارخة خليل خليل وتعجبت وأنا اصدك عني ماذا دهاك وبعجب أكبر من عجبي قلت ماذا دهاني أنا ماذا دهاك أنت ولم أجب واعدت علي السؤال بالحاح قلت بهدوء لا شيء كنت استريح وتعجبت اكثر تستريح وانت وقعت على الأرض وبين النفي والمرارة والسخرية قلت أنا الذي وقعت عليها هي التي وقعت علي وباعياء شديد تقاومت وابتعدت عني رويدا رويدا وبقيت أمامه واحدا ووحيدا وجهها لوجه وهو ينادي بحرقة وشماتة ولؤم النبك حمص حماة حلب الجزيرة الشام يلّا يا

شباب وبه مر الناس افواجا افواجا وهو ينادي لم يبق الا مكان واحد لم يبق مكان لم يبق مكان ونظرته ونظرني واقتربت منه ولم يقترب مني ذلك الاعور الدجال والشمس تشوي المرجة شيا والعرق الخائف يسح من الاجساد الصغيرة المدعبلة السمينة أجساد الشام العريقة كاجساد النعاج المسمنة للذبح واقتربت منه اكثر ودون عناء مد يده الى جيبه الايسر وناولني الفرنكات المعدودة واستدار حانقا يلقط الراكب بعد الراكب والهارب بعد الهارب يحشوهم في اجواف سيارات المازوت العتيقة التي كانت تنفث دون رأفة دخانها الاسود الكثيف الذي يتراكم فورا فوق شجر المرجة الصغير ذلك الشجر المربوع اليابس والعطشان بجذوعه المحكوكة المخرمشة المهشمة وأوراقه الضيقة المطلية بالزيوت والغبار والاشياء الاخرى المتراكمة منذ دهور ومن غفلتي اليقظة رأيتك تعودين خلسة الي في ذلك الليل الاخير وعرفت أنك تريدين أن تعرفي أين كنت وكنت لاأزال في الشام الاحق فارس انادي على فارس وفارس لا يرد فارس زعلان فارس غضبان فارس يزمجر وهو يهرب الناس الهاربين من الحرب التي لم يخسرها فارس فارس جسور فارس يتاجر بالخسارة والخسرانين ويحركة لئيمة من وراء ظهره الاسود اليابس افهمني تماما ما كنت أساويه بنظره فارس فارس الأعور فارس الدلال فارس الدجال الذي ظل يدفع بالراكب بعد الراكب والهارب بعد الهارب من الشام الى الشمال ومن الشمال الى الاشمل وهو يحشوهم حشوا مثل الجزر الخائس ومن ركودي وصمتي أهجم على فارس أريد أن أبيده واخلص منه وآتي عليه فارس الحقير الأحمق المتجر والمتاجر والمناضل والمناظر الذي لا يزال العالم عنده يساوي الوطن والوطن الدولة والدولة الشعب والشعب الحكومة والحكومة القدر والقدر كل شيء فارس المشؤوم الذي حط في يدي بضع فرنكات ومضى فارس الاعور فارس الأعمى الذي لا يهتم بما يأكل ولا بما يلبس ولا بما يحيط به ولا بمن ينام معه ولا بمن يقيم عليه ولا بمن يحكمه ولا بمن يتحكم فيه ولا.. ولا.. ومع النداء الاسود العابر جاءني صوتك اللائم المتذمر المتشكي نمت قاعدا ودون أن ارد عليك نفضت رأسي عدة مرات ومسحت وجهي بيدي وبهدؤ تابعنا المسير كان تبدل مفاجيء يحل في يجعلني اكثر ثقة بنفسي واشد اطمئنانا لقد نجوت مرة ولا بد لي من أن انجو مرة اخرى ورأيتك تضحكين خفية ولا بد أن انزراع مثل الجرة التي لا تسلم كل مرة هو الذي زين لك ذلك وجعل مما لا يمكن له أن يحدث اطلاقا أمرا ممكن الحدوث ولم أشأ أن اقول لك آنذاك عكس ما لم تقوليه ابدا والذي فهمته مع ذلك احسن الفهم وافضله وفي خضم اللهفة والتوتر والاضطراب بدأت الحركة العصابية تتنامى من جديد وكاد زمام الامور أن يفلت مني قبل أن استوعب مخاطر انفلاته ودون أن ابعثر هذه المرة جهدي في الرد على ضحكتك

الغامضة أو أن اهتم بما لم يكن جديرا بالاهتمام تابعت الطيران في ذلك الليل البهيم وأنا التقط جانبيا ومن آن لآخر بعض الحركات الهيستيرية الجامحة منك لقد طالك سوء الطالع كما طالني اذن ولم يعد أمامنا الا أن نمد ايدينا الى اعماقنا الملأى بكل ما لا يسر الخاطر أو يرضي النفس لنخرجه من مكامنه الى السطح لننشره على ظهور الجبال العظيمة التي كانت تمتد أمام ناظرينا في ذلك الظلام المهيب وكان علي أن ابدأ أن اقول لك ببساطة كفى لقد انتهى كل شيء أن ابصق آخر الكلمات التي خبأتها في نفسي سنينا سنينا وما كان عليك أن تعلميه ولم يكن اقل اهمية من ذلك ولا اخف وطأة على النفس التي روضت يوما بعد يوم كان علينا أن نواجه ذلك كله معا أن نحطم دون رأفة أو رحمة تلك البنية الخربة أن نحاول الخلاص من تسلط ذلك العبء البغيض علينا لقد طالني سوء الطالع اذن كما طالك أنت تماما فلنفترق فورا وفي هذه اللحظة بالذات وقبل أن ينقشع الظلام ظلام الليلة الاخيرة هذه الليلة التي لن تتبعها ليلة اخرى ابدا فلنفترق الان افتراقا ابديا لا لقاء بعده ووجدت الفرصة سانحة لتهدئي من نفوري الشديد واستيائي فقلت توقف اذن توقف حتى انزل وكأني لم اسمع كلامك المغرض تابعت المسير والسرعة في اقصاها وصحو غريب يملأ رأسي يفتح منافذي كلها على العالم وللحظة عابرة اكلني الخوف اتكون تلك صحوة الموت ولم يدم ذلك الخوف الا برهة كان البحر يتلاطم في اقصى نقاط الارض وعبر حزم الضوء البيضاء الصفراء بحثت في امواجه عن فارس فارس الاعور الدجال فارس العابس الذي لم يغب الا غيبة واحدة فقط لا غير ومن يومها لم تره عين ولم تسمعه اذن ولم يشمه خشم واقسمت بالطين والزيتون وذاك البلد المهين لامسكنه مسكا ولأنتقمن منه انتقاما ولاعودن به منذ أن اضع يدي عليه الى تلك الساقيةالجائفة في اطراف المزة العتيقة ولم اعثر الا عليك وقبل أن اقول الباقي قلت بلئامة وتحد يلا البورجوازية الصغيرة الغشيمة الغبية التي صنعتها كما يصنع الحذاء النعل والتي مع ذلك ولربما لاجله كما تزعم لم تعد تتحمل أن تفلت من مخالبك الحقيرة ولا أن تنظر احدا غيرك ولا أن يمسها الا المطهرون الذين هم جميعا ليسوا الا أنت وحدك لا غير وقال مرداس فابلغوا من لقيكم إنا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروع احدا ولكن هربا من الظلم واحسست بي أغلي أغلي كالمرجل وقررت في سري أن حصل الهاجوم في هذا المساء في وقت ما منه أن سمح لنا بفعله الطريق والزمن والعالم فسآكلك لا محالة أكلا اكلا أطوق نهديك بيدي القاسيتين وادعك جسدك دعكا دعكا وادفع برأسك ما بين رجليك حتى تتلامس الفوهتان واصب بعدها نفسي فيك صبا صبا ومن جنب الى جنب اقلبك قلبا قلبا وأنا افرك بين السبابة والابهام والابهام والسبابة بعض انحائك فركا فركا وفي عمق ذلك الظلام

المستريب رأيتك تتحركين في مقعدك المعزول بصخب وهياج وأنت تتطلعين يمنة ويسرة والى أمام دون أن يقترب أحدنا من الاخر لقد كنا محكومين اذن بالسكون والحركة والمسافة والزمن والعادة والتعود والاخلاق والمقومات والمكونات الاخرى الكثيرة والتي تكاثرت فوق رؤوسنا يوما بعد يوم وبدا لي أن اتصالنا أو انفصالنا لم يعد ممكنا الا بتدمير تلك الحالة التي غدت هي الأخرى سلطة لا يمكن التخلص منها الا بشق النفس ودون أن يرف لك جفن قلت باستخفاف أنت تعقد كل شيء وبامتعاض شديد كررت قولك أنا اعقد كل شيء وكدت ادفع بك عبر الباب الى الفضاء الا أن تلك الخاطرة المقيتة مرت سريعا بسلام وكان ذلك حريا من قبل أن يدفع بي الى الفوران والهيجان واحتقار الذات ولومها وتأنيبها وحتى الى ممارسة النقد الذاتي العبيط الذي لا هدف له الا تأثيم الذات الا أن الفضاء الجديد الذي انفتح لي انذاك كان قادرا على ابتلاع كل شيء بما فيه الخيبة التي حاولت أن تقنعيني بها خفية وبصفاء ذهن عجيب رأيت أنني الان اكثر من أي وقت مضى مطالب حقا بتحقيق قطيعة كاملة وحادة مع وجودي القديم بكل اشكاله وفعالياته وتحققاته بما فيها أنت وقبل أن استوعب أنا نفسي رؤيتي الجديدة للامور وجهت الي لوما عنيفا ومباشرا وأنت تقولين كما هي عادتك سخفت المشكلة وعممتها وبلت علينا وعليها وتعلقت أنا بالقشة التي لا تقي من الغرق وانا ارد الكلام بتردد إليك عادتي أنا وبتأكيد مخيف اعدت اتهامك لي وأنت تصرين على اخراج الحروف اخراجا مسرحيا شديدا ن.. ع.. م.. ع.. ا.. د.. ت.. ك ا.. ن.. ت.. وأضفت ف.. ق.. ط وأضفت بعدها دون أن تسألي أنت لا تحتاج الا الي شيئين الصدق والشجاعة وبغباء فظيع رددت اليك السؤال وأنت الى م تحتاجين وفورا قلت الى لا شيء وشيئا فشيئا بدأت معالم الصورة تتوضح لي ونحن نقترب بسرعة من البحر ولأول مرة صرت أتساءل بجد وانفعال ولكن لماذا لا أزال أصر على الوصول واحسست بي اكرهك كرها جذريا لا حد له ولا قرار وتمنيت لو استطيع أن امسك بيدك وأعود بك مسافة وزمنا الى الوراء لو اسوقك عبر شوارع الشام سوقا بدلا من أن أماشيك كما من قبل أسوقك حتى نافذتك الواطئة المضيئة باستمرار وفي شارع الروضة المهيب هناك ادعك واعود كان كرهي لك هذه المرة عظيما ومخيفا وهذه المرة ايضا خطر لي ان علينا أن ننمي الكره كما ننمي الحب وأن نغذيه ونزيده كرها على كره فالكره هو العاطفة الانسانية الوحيدة في تاريخ العالم النفسي التي لا تخشى احدا ولا تطمع في شيء سوى التخريب وكأن ذلك كان سيحدث توا صرت تنطين في مكانك وأنت تصرخين بانفعال لم بقيت هذه المدة كلها ان لم تكن تلك رغبتك لم بقيت لم بقيت لم بقيت واختلط صوت ضربك لك بصدى حسك الكئيب المتكسر المنهار وهو

يتردد محصورا بينك وبين الجدار واحسست فورا بكلماتك الحزينة المتسائلة تنفذ الى نفسي عميقا وكأنها تكفير عن ذنب لم ترتكبيه أنت ولا أنا مما زاد في كرهي لك ولي وللعالم وبدا لي أن علي أن اقول لك حسما للنقاش البليد المعاد أننا لا نرغب دائما فيما نفعله ولا نفعل دائما ما نرغب فيه وأننا كثيرا ما نكون مقسورين قسرا على قتل رغبة دون فعل ايضا الا أن الانفجار الشامل والعميق الذي أخذ يملأ فضائي آنذاك منعني من قول ذلك ولم اجد ردا مناسبا عليك سوى الصمت وبحركات غير متناسقة ولا رشيقة خفضت الزجاج ومنذ أن هبط قليلا هجم الهواء حادا قويا باردا وبشكل فيسيولوجي كامل ملأت ملتذا منه رئتي ملئا عميقا واستنكرت أنت ذلك إذ رأيتك تستديرين محتمية منه بصمت واحتجاج الى البعيد وملأت أنا رئتي منه اكثر فاكثر واحسست منتعشا ببرودة الليل تسري في عروقي العميقة تعبر أوصالي جميعها باعثة في بدني قشعريرة لا تنسى وبدأت انت تتحركين حركات غيظ مكتوم في مقعدك المجاور الذي تعرض هو الاخر للهواء الطليق ولم أفعل أنا سوى الاستزادة من التمتع بهواء الليل العنيف وكنت حريا من قبل وفي مثل هذه الحالة بالذات أن أسارع الى اغلاق النافذة التي ازعجتك فورا حتى ولم لم تزعجني أنا وأن ابوسك فوقها بوسة الرضى والاعتذار كنت حريا أن احقق لك ما ترغبين فيه حتى ولو كان على حساب رغبتي الخاصة حماقة اخرى وعيتها متأخرا متأخرا جدا لقد كان علي اذن أن القي بك منذ البدء أن اقذف بك مع طاقية سيدي العقيد البائسة في ارض الشام ونودي على السبي فغولي بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين الفا وذلك الرجل ممن كانوا قد لحقوا بالخوارج فشق ذلك على قطري وقال ما ينبغي لرجل أن يكون عنده اكثر مما عندنا أن هذه لفتنة وتبين لي في تلك اللحظة العاصفة انني لم اكن اجهل الكثير في امور الدنيا فحسب بل كنت اجهل اساسا طاقتي الهائلة على الفعل عندما استاء وبشكل صريح احسست بقوة غامضة وآسرة تدفعني الى أن ادير ظهري للماضي كله وأن أتجاهل حتى وجوده الكامن في اعماقي وبقدر ماكان يملأني قبلا من طاقة احتمال وصبر قديمين طاقة عبودية كاملة وعميقة صار يملأني الان طاقة اخرى جديدة متفجرة ملعونة فاسقة لا تحدها عقيدة ولا مذهب ولا دين وكما فقدت السيطرة عليك من قبل بدأت افقدها على نفسي الان وسرني ذلك كثيرا وصرت اصرخ في اعماق ذلك الليل لن اقول لك أنت الاخرى احترامي سيدي الحبيب لن اقول احترامي سيدي العقيد لن اقول احترامي سيدي الحبيب لن اقول لن اقول لن اقول لن اقول واختلط الصوت المفلوت مني بالحركة والضوء والمسافة المتناقصة ليلا اختلط بالماضي والحاضر وبما كان وبما لن يكون وكنت لا تزالين جاثمة مصعوقة صامتة تتطلعين منك الي ومني اليك وأنت لا تفهمين من الامر شيئا كنت

لا تزالين في حالة وعيك الاداري للمسألة تأملين مني شرحا وتبويبا وتأريخا وتفصيلا واسبابا معقولة ومقبولة من الطرفين وربما جدلا ونقاشا وتحليلا عقيما لأمور تاريخية عظيمة كنت لا تزالين تريدين أن تفهمي قانونية الاشياء التي لم يعد فهمها ممكنا الا بتاريخيتها وحاولت أن انقل اليك ذلك وباصرار سددت السبل جميعا في وجهي لقد تلبستك اذن روح السلطة وحمقها وصرت انت الاخرى مثلها ترفضين رفضا باتا وقاطعا أن تفهمي الأمور الا في تسلسلها وتواردها وبعد وضعها فيما تسمينه مكانها الطبيعي وكأن الأمور جثت لها قبور هكذا فعلت معنا السلطة معك أنت ايضا ولكن الطفرة التي تنبثق من العثرة لم تصبك بعد لم تصبك ومن حالة اضطرابك العميق تطلعت الي متحدية دون أن تقولي شيئا وقال ابو الوازع لنافع ابن الازرق يانافع لقد اعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك وكالبرق تهارب الضوء الى جذوع الشجر المحيط بالاتوستراد ومنها جررته الى الطريق بانتباه وأنا اتابع السير دون كلل صرت احس انني اكبر من خطإ سخيف لا محل له في الحياة وأن علي منذ الان أن ابحث عن نفاذ ممكن وعن نفوذ عميق أن اصارع بكل همتي عناصر التلوث والتشويه والاحباط أن اتحرر من الخوف والخوف من السلطة أساس كل خوف وبشكل مثير للقرف والنفور بدت لي خواصك اللئيمة التي لا توحي الا بالتحدي والمجابهة والتعدي خواصا سلطوية خالصة خواص سلطة كاملة مطلقة تكون بنفسها وتعبد نفسها وتريد لنفسها كل شيء ولا تمكن من نفسها احدا كانت الحرب واقعة بيننا لا محال إن لم تكن قد وقعت من قبل ولكن لماذا لم تأخذ صورتها الحقيقية قبل الان لماذا ووجدت نفسي وانا التهم الطريق الاسود الطويل التهاما أحاول أن افهم الاشياء بعناية جديدة أن اضعها في امكنتها التاريخية المعقولة أن اتأكد من خصمي الحقيقي الذي يملأني بكل هذا الحقد والزعل والغضب والنفور والاستياء فلم يعد يقنعني أن يكون هذا الخصم هو أنت أنت وحدك هذه الانسانة الكئيبة المتعبة الخامدة المنهارة المتضائلة الملمومة على نفسها اللازقة في أعماق السيارة المرعوبة من السرعة القصوى اللاصقة بي الخاتلة الى جنبي لا ليس الخصم أنت انت وحدك ولم احارب هذا الشيء ابدا ولم اجابهه كنت اجابه واحارب ابعادا واحوالا وتجليات وهيئات اخرى انت كائنات عديدة ومختلفة اذن وليس الحرب معك الا الحرب مع الجميع حرب علي منذ اليوم أن اخوضها بوعي حتى اربحها بوعي أن ربحتها واخسرها بوعي أن خسرتها ايضا انها حرب التحرير الذاتي العظيمة الا تعرفينها ومشى كل منهما الى صاحبه بيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف فالتقيا فاشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف

أم الدماغ ولم تغيري من قعدتك كما كنت أتوقع ولم يبد عليك أي ارتباك وأنا اجرجر الضوء الرفيع من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى الوسط ومن الوسط الى الأوسط وأنت تتلعثمين أنها المرة الأولى يلعنك أنها المرة الأولى وتلاشى في ضجيج المحرك الثقيل احتضارك الاخير وانت تتغلغلين في السواد سواد البطن وسواد الشعر وسواد العقل اللئيم وتجاهلت أنا ذلك كله تجاهلته تجاهلا لا يوصف لماذا اردت أن العب أن العب على الزمن وعلى نفسي وعليك أن اكذب أن ازيف الوقائع التي لم تقع ابدا أن أوحي بما لم يكن قابلا حتى للايحاء أن اتظاهر بانني املك الحقيقة التي لا حقيقة لها ولا مجال وانني الوحيد القادر على قولها وببساطة قلت الحقيقة لا تقال واسقط في يدي كان ماقلته حقا اكيدا فالحقيقة ليست بحاجة الى قول ولكن اين تختبيء تلك الحقيقة البغيضة التي صرعت بها رأسي ليلا بعد ليل حقيقة الكلاب ودون حياء أو مشقة لمست طيزك الجميل لمسا عنيدا وأنت تقولين أنها هنا تلك الحقيقة التي تشغل رأسك الفارغ وأخذني الغضب شعاعا شعاعا وتطلعت اليك من بعيد ومن قريب واستدرت عني كليا الى الجهة الاخرى كما منذ قليل ولابد أنك رأيت الشجر مظلما وكئيبا كما هي العادة في ذلك الليل الاخير وخضعت أنا لقوانين اللعبة لعبة الحركة والضوء واقتنعت دون تردد اقنعت نفسي بالاحرى أن علي أن احافظ على حياتي إن لم تكن حياتك تهمني ولم يكن ذلك الا تبريرا سخيفا لقد كنت كما بدا لي انذاك لا أزال مترددا بين التوقف والمسير كنت لا أزال غارقا في حياة أساسها سيء وتفاصيلها رهيبة واستنادا الى رؤيتك السردية للعالم ومنظورك الأخلاقي القديم له هجمت علي بقسوة حجة اخرى تضيفها الى حججك الكثيرة حتى لا تحل عن ظهري وعلى لساني وقف الكلام كنت اريد أن اقول لك آلاف الكلمات أن ابرر مواقفي وادعاءاتي لكنني صرت مؤمنا أن التبرير أساس القمع وما فعلته كان هو التحديق الصامت والمستمر في فضاءات الليل التي لا تحصى ولم اقيد هذه المرة تمزقاتي الداخلية العنيفة بل عبرت عنها بجرأة كاملة بحركات بهلوانية واضحة كنت ادرك لأول مرة بوضوح كبير أن الانفعال وحده شعور ميت وخاو وأن علي أن ادل عليه بكل الوسائل الحركية والحيوية التي املكها وآذتك الحريكات المتداخلة التي كانت تنبثق من جسدي انبثاقا والسرعة التي ظلت تأكل الليل أكلا كان علي أن اصل البحر قبل الصباح ولم يعد ذلك مشروعك ابدا ومع ذلك بقيت الى جانبي طيلة هذه المدة كلها وكدت اصرخ بك لماذا بقيت لماذا وبدا لي أن مجرد طرح السؤال امر رجعي سلطوي غشيم وأخافني صمودك القاتل بين يدي لقد نضجت بشدة لقد نضجت فعلا وما عدت بحاجة الا الى شيء كبير يخترق احشائك من ادناها الى اقصاها يفضك فضا ولكي اوحي اليك بذلك تطلعت اليك جانبيا وتبين لي فعلا

أنك كنت شيئا آخر كنت عنيفة صارمة رافضة لي ولمحيطي وكينونتي بأي شكل من الأشكال أتيت ولم يكن ما تصورته الا وهما رجوليا ساقطا هو الاخر وقتل رجل حتى ولو في صلاح الناس أمر منكر وليس للامام أن يحكم وحده حتى فيما يراه صالحا وللرعية دائما أن تعترض عليه وكأنني كنت اسوطك بالسياط ملأت مساحة فمي بكفك وأنت تتوسلين اسكت ارجوك اسكت واتبعت الرجاء بالنواح متى نصل يارب متى نصل وتعجبت أنا منك أنت التي اقتنعت عميقا بصدقها وحزمها ووضوحها أنت الاخرى تتوهمين متى نصل يا رب متى نصل وأنت تعرفين بدقة رياضية عالية واكثر مما اعرف أنا نفسي أننا لن نصل ابدا لن نصل نقطة ارتكاز اخرى تهاوت أمامي في ذلك الليل وتشوش الامر اكثر فاكثر بدأ الغش ينفذ الى اعماقك اذن بدأت تدخلين في مرحلة مقاومتك الاخيرة وكنت اعتقد أنك حسمت مثل هذا الامر من قبل وقطعت مراحل الارتكاس الطفولي واحدة بعد اخرى مزيدا من القسوة مزيدا من القسوة هكذا ربما يتفتت هيكل الاسمنت المسلح ربما نخترق جدرانه السميكة التي تفصل احدنا عن الاخر ربما نحيا ربما نموت وفجأة اختلط الحابل بالنابل وهرت فوقنا القنابل والتفت الساق بالساق ومعا تهاوينا على الارض وبدأت ابكي بكاء مرا حزينا متشنجا بكاء الخيبة والاستياء فلم اكن اتصور أن تكوني انت الاخرى أنت تصوري محشوة ايضا بالرداءة والزيف والكذب والخوف وأنك تحتاجين كما احتاج انا تماما الى الحب بكل اشكاله وانواعه والى الطمأنينة والحنان لقد رضعنا حليبا واحدا اذن ولم يختلف كما كنت احسب ماء الخابور عن «مية» بردى صرت ادرك الان ان الحياة مسمومة من المحيط الى الخليج وأن عكرها عكر شامل ومعمم ومقيم وبهمجية وبسابق العمد والاصرار مزقت امامك أوراقي القديمة وقذفت بقرف حتى بصرخة الرجل الذي يأكل نفسه افتحي ذراعيك لتحتضنيني هأنذا قادم ايتها الارض وكالمسعورة صفعت وجهي بكفك وأنت تصرخين اسكت ايها الاخرق اسكت ايها الخليع وأزت العجلات فوق الاوتوستراد أزيزا خارقا للعادة وأحسست بها تؤتكل خيطا خيطا وتصاعد الدخان من الاسفل غبارا ثقيلا اسود من المطاط المحروق وتلوى هيكل السيارة التي انلجمت على عجل ودون صواب ورسمت اضواؤها الكاشفة في قلب العتمة زوايا ضوئية حادة شديدة الانكسار قبل أن تذوب الى الابد في ذلك الخلاء وتملكك الخوف الشديد ورأيتك تلتمين على نفسك التماما حميما وتداخلت اعضاؤك الواحد بالاخر تداخلا جنينيا هائلا وغدوت بلمح البصر كومة من اللحم الطري الهش ولم يكن علي الا أن امسك بك بجماع يدي والقي بك بعدها في عرض الطريق ولست ادري كيف وضع نفسه حاجزا غير قابل للاختراق بيننا ومن عيونه العميقة ينطلق شرر مخيف ولم يزل القوم يجتلدون حتى

جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم ابو بلال ياقوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا قالوا لك ذلك فرمى القوم اجمعون اسلحتهم وعمدوا للصلاة فاسرع عبّاد ومن معه والخوارج ما بين راكع وقائم وساجد في الصلاة فقتلوهم جميعا بلا استثناء وبقيت أنا ساكنا في تلك الحركة الرهيبة حركة النفس الجائشة والأهواء التي لا يمكن قهرها أو الخلاص منها كانت الورطة تاريخية وأقل ما يمكن لها أن تفعله بي هو الموت حيا لقد بدأ الاطمئنان القديم يهتز اهتزازا مريعا وبدأ ذلك الاهتزاز أول مابدأ في الجسد والجسد مصدر الرغبة والرغبة مصدر اللذة واللذة مصدر التوازن والتوازن مصدر السعادة والسعادة مصدر الموت وتبين لي أنه لا يقضي على الاختلال الا الاختلال فلا دفع بعجلات السيارة الى الامام اكثر فاكثر وسمعت الحنين الالي الكئيب يشق الليل يمينا وشمالا وفي كل الجهات ينقذف في فضاء الكون المعتم قذفا ولم يبق من اثر الاستياء الا صراخي البهيم المتساءل من أنت حتى تملأي نفسي بكل هذا المقت واليأس والكره والنفور من أنت من أنت واخذ صراخك يشتد وخوفك يختلط ببأسك وأنت تتخلصين مني دعني دعني دعني واحسست باسنانك تنغرز في ساعدي الايمن غرزا ولم أتلحلح فما كنت تعضينه لم يكن ساعدي آنذاك كان آلة قوية صارمة تطبق على بلعومك اطباقا لاخلاص منه أغرزيها اذن اغرزي اسنانك اللئيمة في لحمي المهان فلن أتأثر ولن اطيع كان احساس مخيف بالفشل يستولي علي صرت ادرك أننا في الحياة بحاجة على الاقل الى علاقة واحدة حميمة مكشوفة غير مغشوشة علاقة عميقة دون جيوب أو انشطار أو زوايا مظلمة حتى نواجه بها عنف السلطة وقسوة الحياة ومرارة الموت وكانت تلك العلاقة بيننا قائمة وقد خربتها الان أغرزيها اذن اغرزي اسنانك الحقيرة اسنان السلطة الاكلة في لحمي العميق مزقيه كما مزقت املك من قبل احشاء الاخرين فلن أفك عنك الحصار ولن احل ولست ادري كيف وضع نفسه من جديد بيننا ولا من أين جاء وبدت لي محاولاتي السابقة لتوضيح ذلك الكائن الانساني امرا عبثا وسخيطا ولم افعل الان الا النظر الملهوف الى عيونه المدورة الحاذقة واشعتها الغريبة النافذة تختلط بحركات وجهه المعبر عن رجائه العميق في ألا أمسك بسوء وبكيت بعنف كما بكيت يوم الحر الشديد في حزيران الفائت وأنا احتمي باشجار الشام النحيلة ذات الغصون الرفيعة والأوراق الملوثة بالزيت وكالمنوم كففت فجأة كل توتري وخمدت وكأنك فهمت ماحل بي بدأت تنفردين واخذت اعضاؤك تمتد شيئا فشيئا هنا وهناك وعاد الى عينيك الشعاع النافذ ومن جديد بدأنا نرى حولنا الظلام الكثيف يغلق الجهات جميعها ويدوم وقال ابو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكني ابا الخير من أهل البأس والنجدة أنه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جندي فيسابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم

في كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة الف فظل ابو الخير يقول مارأيت شيئا اسوأ من الطاعة والتقلب بين اظهر الجماعة فانكر منه زياد ذلك فتنمر لزياد فحبسه ومثل به حتى مات وباستياء عميق وتحد خفي قلت ولكن من هو الذي يظل وقافا بيننا كلما اشتدت الحرب ولم اخف عليك الحقيقة كان شخصا صغيرا صنعته صنعا من اجل السياق سياق هذه القصة التي ركبتها من القصة الحقيقية لاعطي لها بعدا انسانيا مأساويا أكثر وانتفضت بعنف لتعطي لها بعدا عائليا بالاحرى بعدا سخيفا تقيدني به وتقيد نفسك واحسست بالانهيار الكامل كيف اكشف لك السر سر تلك الشخصية التي لم تستعمل علنا الا مرة واحدة فقط لا غير تلك الشخصية التي خبأتها عنك طويلا والتي لم تكن سوى ولدي ولدي الصغير الذي انجبته مني يوما ما يوم كنت احبك حبا جما وكأنني اثرت بذلك كل ظغينة لديك حدقت في وجهي ببغض حقيقي وقلت باحتقار تحلم أنك احببتني يوما وأنت الذي لم تحب احدا في حياتك ولم يحبك احد واضفت بسخط وتعجب الى هذا الحد وصل بك الخيال الى هذا الحد وشعرت بحقدي يتكاثف لم تريدين أن تحرميني حتى من هذه الشغلة وتبين لي مدى بؤس الحياة التي احياها ومدى خلوها من كل ممتع ولذيذ وجميل وخطير واذن فلن ارى بعد اليوم وجهه وجه ابني الصغير الذي حميته بكياني كله ورعيته ووفرت له حبي بعد أن دفنته في ارض الشام لقد دفعت ثمنا غاليا اذن من أجل طمأنينة عابرة طمأنينة لم تستمر سوى بضع سنين لقد خسرت كل شيء وما علي الان الا أن اخسر الباقي وخطر لي أن ارد على غبائك المزمن بأن الناس جميعا ومنهم انا يرغبون في الحب وهم جديرون به وبحاجة اليه الا أن القمع المعمم والعميق قمع السلطة الكبيرة والمتسلطين الصغار يحول دائما دون ذلك ولم اجد الرغبة لقول ما قلته قبل قليل فلم يعد يهمني ان اصلح الشأن بيننا ولا أن اطيل امد البقاء ولأول مرة تمتعت بطعم اللامبالاة وأيقنت أنني لست ممن يتشبثون بحياة لا يريدونها ولا ممن يدافعون عن وضع لا يؤمنون به وبدا لي أنه عندما تشرق الشمس البيضاء على المتوسط من جديد فإنني سأرى حتما وجهه وجه ابني الصغير يلمع في ضياء الشمس شرقا ابني الذي خلفته في ارض الشام وتحت مطره الجميل دفنته ذلك الكائن العجيب الذي لم يتخلق يوما والذي هبط مع ذلك الى القاع مختلطا برائحة التراب وأدرانه ورأيته في ظلام الليل يمر كالبرق أمامي وهممت أن اصرخ وعلى رأس لساني جمد الصراخ وانغلق الحلق على العضلة الحمراء المستديرة ذات الرأس المدبب والرفيع ذلك الرأس الذي يبعث الحرارة والالتهاب في مفاصل الجسد ومداخله الصراخ الذي لم اصرخه قط صراخي الذي اندفن هو الاخر في باطن الارض عميقا ارض الشام التي ضمتهما معا وابعدتنا معا وشيئا فشيئا تناهبتني الخيالات

وبدوت لعيني شبحا مرميا بالقرب مني لا يثير في نفسي الا اعنف الانفعالات وشيئا من الاساطير حتى ورأيت ضحكتك الغامضة تنبثق في الظلام لامعة كريهة خالية من الحب والحنان محشوة بالكره والامتعاض وزاد ذلك كله في سرعة السيارة التي اخذت تجنح في عرض الطريق ورأيتك تتكمشين بالقبضة المعدنية البيضاء على يمينك وترصين حالك في المقعد الواطىء واحسست بتقلصات جسدك الواجف من الرعب وأنا بعيد عنك وبين الظلام الخارج والخوف الداخل كنت تنقلين بصرك الذي احتد احتدادا لا مثيل له وعرفت انك بدأت تقترين من التوسل والرجاء وكأنني لم اكن معنيا بالامر تابعت التدفق الليلي نفسه دون ارتخاء كنت قد قررت منذ قليل أنني لن اراعي بعد الآن شعورا يتعارض ومشاعري ولا شعوره هو حتى ولو وضع يده الصغيرة الجميلة على كتفي وحدق بعينيه الاسرتين في عيني وابتسم لي ابتسامات الحنان الذي افتقدته منذ زمان ورأيتك تحاولين بشيء من الخبث والاصرار سبر اغوار نفسي التي لم اسبرها أنا بالذات وفهمت رأسا أنك تريدين أن تعرفي ما اذا كان لي ولد حقا وما اذا كان من امرأة اخرى غيرك وفجأة انفجرت زاعقة في وجهي لك ولد في الشام وقد تلبستك الحيرة والذهول وكنت قد حضرت لك الجواب الصادق والاصيل ولكنه ولدنا معا هل نسيت كيف قتلناه ولم تقولي شيئا كنت تلاحقين ببلاهة مرضية ماكان يتبدى امامك في ذلك الظلام وكشفت لك تلك الحالة المتوترة من الامور ما لم تكشفه حياة هادئة بطيئة مطمئنة وفجأة قلت كلاما جر كلاما جر كلاما ومرامات ونفيا واجابات وبتشف ساخط قلت لك ولكنه ابني ابني الذي انزلق من بين فخذيك في رطوبة الشام وبلله والذي اشتغلنا معا لانجازه واضطررنا معا للاجهاز عليه خشية وحياء واستجابة لمطالب السوق وحفاظا على الشرف غير الشريف اصلا وتجاوبا مع قوانين السلعة سلعة العرض والامتلاك ولم تحتملي تلك الصراحة فهجمت علي في ذلك الليل الطائر وصرت تلطمينني بحنق وغضب واحتقار وأنت تأمرينني اسكت ايها الخليع القاتل اسكت ايها الاخرق اسكت اسكت اسكت وأخذت شفاهي ترتجف واصابعي تتحرك حركات لا يمكن السيطرة عليها أو اخمادها واجتازتني الرعشة تلو الرعشة كانت متعة القتل تركبني من جديد متعة القتل المهووس المخطط له بدقة والمنفذ بعناية قتل المولود لاقتل الوالد قتل الام الحانية الرحيمة الذليلة الخاضعة لبطن الاب ومقتضيات الحياة الناقلة لنواهي السلطة وأوامرها قتل الانقهار والتخضع الذين ارضعتنا اياهما يوما بعد يوم ومع اكتمال كلامي اكتمل نحيبك اكتمالا لم أكن اتوقعه ابدا وكأنك لم ترمي به تحت بلاط الرصيف رصيف باب توما الوسخ المكسور ولم تلقي به ليلا بين اوساخ القصاع الحائثة في كل مكان اعلنت براءتك فورا هم قتلوه انت الذي قتلته هم قتلوه انت الذي قتلته

وقررت بشكل غير متوقع أن افشي لك منذ أن تتوقفي عن هذيانك اسرار نفسي أن افضحها امامك وأن اكشفها لك كما لم اكشفها لأحد من قبل فلقد احسست فجأة أنك في تلك اللحظة تماما كنت جديرة بالتقاط الضائع والمخلوع وكنت قادرة على أن تحتويه وتربي سخطه واستياءه وتزيدي مقته لهم مقتا وقد تعيدينه الى الشام سعيدا كما من قبل الا أنك أنت الاخرى صرت كالسلطة الام لا تهتمين الا باسباب بقائك على قيد الحياة وكنت تعرفين انني منذ أن توجهت جنوبا كنت ذاهبا لابحث عنه عن ذلك الولد الصغير الجميل ولدي السقيط وكينونتي القديمة التي بدأت تتهارب مني الان وتوقعت أن توجهي الي ملاحظات قاسية لئيمة كما هي عادتك مؤخرا الا أنك بدلا من ذلك قلت كلاما مخيفا لم افقه منه سوى الامتعاض وبدت الحياة التي عشتها على غير ما كنت اعتقد مجموعة من الامور التافهة الصغيرة التي تجمعت امرا فوق امر حتى غدت قضايا كبيرة لا تقاوم ولا ترد وما علي الان اذا ما اردت أن اتخلص منها الا أن اخذها صغيرا بعد صغير ولم ارك الا وأنت تصيرين في هاجمة عليَّ ايها الكذاب المزيف الجبان المدعي الحقير لماذا لم تخله في بطني لماذا لماذا وكأن بلطة حادة قطعت أوتار رأسي احسست به يتدلى رخوا مائعا غبيا وامام عيني البلهاوين ظل الظلام يمتد طويلا والأزوال السوداء تتراكض في عتمة الليل حولنا دون كلل أو ملل وكأنها مربوطة الينا بحبال لا ترى واحسست بي اهوي عميقا عميقا وفي عمق الظلام بحثت بصبر وأناة عن الطريق وعندما انفتح الكون أمامي بحثت عن الفوهة وبحذر شديد دفعت بالعود الرفيع داخلا جدا حتى غطس رأسه في الظلام ومن السكون الذي تشوش انبثق الاحمر الفاقع ومعه انبثقت الهيئة مهشمة ملوثة وبها بعض الرضوض ودون سبب واضح قلت بأسف شديد ماكان يجب أن نظل معا قلت لسنا معا قلت كنا معا واندفعت بحماقة الى الباب وقبل أن تخرجي منه اخذت يمين الاوتوستراد وتوقفت كانت بي رغبة عنيفة هذه المرة ايضا للاختلاط بالليل بشكل مباشر وسريع للتحديق في العتمة للامتزاج بالكائنات المحيطة بي وبدأت انظر بامعان الى ابعد نقاط الافق واقربها واحسست بي ارى الشام عبر الظلام وكدت اضحك من حالي ولم اقل شيئا تصورت رأسا ردك القمعي الجاهز حتى عيونك تخدعك وقررت أن ابتعد وحيدا وحيدا هذه المرة بشكل وحيد ومن خطوة الى خطوة وصلت حدود الصمت والسكون ولم يبق حولي الا حفيف الليل يرف في ذلك العتام ودبيب الكون المستمر وحركته الهاجسة العميقة حركة الخوف الذي لا سبيل الى ازالته أو تحديه خوف البعيد من البعيد وخوف القريب من القريب وخوفهما معا منهما معا الخوف المعمم الدائم المستقر في اعمق النقاط واكثرها ظلاما خوفنا البائس من السلطة الخوف الذي سلطها علينا تسلطا دون روادع أو حدود

وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدا حين ابتلى وتعرض له خالد بن صفوان عندما اسر فقال له بلال انما طال لسانك يا خالد لثلاث معك هن علي الامر مقبل عليك وهو عني مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا وحيد ومن حركة متواطئة الى اخرى فكنت بدي اليمنى اخيرا ازرار بنطالي واخرجته من مكانه بصعوبة بالغة كنت اريده أن يستشق هو الاخر هواء الوادي العميق ذلك الوادي المعتم المهيب الذي لم يفارقنا منذ أول المساء وما أن لامس جلده المستور منذ الأزل عري العالم دون وسيط حتى أخذ يشتد ويشتد ويشتد لقد عرف الدم طريقه المنسي اليه وصار الذهن يلاحق مدخراته القديمة من الصور والاحاسيس واللموسات وتواردت الاجساد التي لحظت يوما ما جسدا بعد جسد وكلها معا وكل جسد يعرض دون تردد أهم مكوناته واكثرها إثارة واحسست بي اندس بشبق بين الاشتات والجزئيات اللذيذة والمُلِذَّة واشعة الشمس الحمراء الصفراء البنفسجية النافذة تغمرني غمرا لقد قادني من هنا ومن هذا الليل الى هناك والى ذلك النهار وعلى قمة قاسيون العارية أوقفها وأوقفني وكما حطت رأسها من قبل بين فخذي حطته الان حطا حطا وارسلت من أناملها العجيبة عبر جلد الخصيتين الرقيق رسولات ملهوفة شبقية رجت البدن رجا رجا وكما كانت تنظر حولها حذرا آنذاك لم تنظر الان الا فيه بعد أن نفخت في صوره نفخا نفخا ونشقت كما فعلت من قبل تماما رائحة الزنخ والنزّ المنبعث من جذور الاشعار ومن سفح الجلد المحبوس طول عمره نشقا نشقا وبكلتي شفتيها لمت ما تناثر من عرق الجسد ومن حبيباته لما لما وبين الفعلة والفعلة تراكمت الحركات والهمهمات والهزهزات وتراكبت ركبا ركبا وأخذ رأسي يهتز كما اهتز في حرارة ذلك القيظ الدمشقي العنيف هزا هزا واللذة تمشي مختالة في بدني كله من المحيط الى الخليج والرعيش يرقي اوصالي رقيا رقيا كدت اصيب القذف لولا تلك الحركة المباغتة المفاجئة التي شلتني شلا شلا وجعلتني الوي عنقي فورا اليك ليصيب عمق وجهي بصاقك الحاد وأنت تصرخين مغتاظة لم يبق الا هذا لم يبق الا هذا وبعده اختفيت كالمسحورة في الظلام وبحركات آلية تعيسة اعدت كل شيء الى مكانه وهجمت عليك واستجرت مني بهيكل السيارة الجاثمة على الطريق ولكن دون جدوى لقد صممت هذه المرة على أن أصفي حسابي معك مع الحب الخبيث الذي سلطك علي دون ذنب أو جناية ومع حسابك المقيت هذا اصفي حسابات اخرى كثيرة حسابات اجلت عاما بعد عام فكما حانت من قبل ساعة التلاقي آنت الان ساعة الافتراق ولن يكون افتراقا عابرا ولا قابلا للاستيعاب بل سيكون افتراقا تاريخيا هائلا افتراق الجسد عن الجسد والرغبة عن الرغبة والوعي عن الوعي شكل آخر من السلوك هدف آخر في الحياة صار هذا ما يفرقنا الان وليس لذلك من مآل الا

القطيعة وملأ الفضاء صياحك المستغيث ستقسمني قسمين ستكسرني ولم اكن اريد أن امسك بسوء كنت فقط اريد أن اعز لك عن سيدي العقيد واعزله عنك وبحثت عن آلة حادة تعينني على فصلك فصلين فصلك انت وفصل سيدي العقيد ولم يكن في حوزتي الا القصب والعيدان والاحجار الحادة وكسر الاخشاب المترامية على السفح الشرقي للحياة ومع ذلك صرت احاول فصلك فصلا فصلا وامتلأ الليل بصراخك ولم علينا كائنات الارض قاصيها ودانيها وكأنني سمعت عبر ضجيج الليل المتحدر من الأعالي صوت مشيه الصغير يقترب منا هو الاخر فورا كففت عن سلخ بعضك عن بعض وصرت ابحث عنه في كل مكان لقد كان هو كذلك هنا تماما في هذه النقطة من هذا المكان وبعيني الحادتين هاتين رأيته يبكي صامتا ودودا ودموعه تهطل مدرارا على وجهه الاصفر المذهول ومن عينيه المبلولتين ارسل نحوي اشعته الحميمة التي قادتني بعيدا عنك وبقيتِ إنتِ ملقوحة على الظهر وأنينك المحبط يتخارج من جسدك المتكسر والمدعوك معبرا عن موت رغبة لم تتم ولن تتم بعد الان كان أنين الانفصال الحاسم بعد الاتصال الحاسم اذن كان أنين الموت الذي لاحقني الى هنا وصبرت أنا على ذلك صبرا غير جميل فللصبر حدود ياعقيدي للصبر حدود وفجأة تحول صمتك الهادىء الى حركات انفعالية عنيفة مباغتة ورأيت اليدين الملعونتين يديك انت تدقان رأسك وصدرك وركبتيك وأنت تشتيكن جنننتني جنننتني بحكاياتك وذكرياتك واشيائك السخيفة وبعد انقطاع نفس مفاجيء حل طويلًا في رئتيك شهقت الهواء عميقا عميقا وأنت تسبين اي كس اختك وأخت العقيد وأعدت الكرة اكثر من مرة وبقيت أنا صامتا أحدق في الطريق الاسود أمامي ولست ارى سوى امتداد الضوء الابيض الثابت والمستمر دون أن استجيب لتداعياتك المنفلتة والشديدة وشيئا فشيئا صرت ترددين متى نصل يارب متى نصل وكنت قد قلت ذلك من قبل مرارا وقد غاضت من ملامحك معالم الحياة واختفى البهج القديم اختفاء تاما وبدا استمتاعك الماضي بما كنت اقصه عليك من آن لاخر تاريخا شبه منسي مع أنه لا يزال على رأس اللسان لقد قسى عودك فجأة واشتد وصرت شجرة سوداء محروقة لا ماء فيها ولا حياء ولا فرحة ولا حبور من أين ينبع الفرح عندنا من الجسد من أي غار أو ثقب فيه من أية تعلة أو طلعة أو ثنية فيه من أي شق أو جزء أو عضو منه لم اعد ادري لكنني ادري تماما أن ذلك الشيء عندما يضيع فإنه يضيع من اجزائه جميعا وبنفس الوقت معاً ومنذ أن يضيع فإنه يضيع الى الابد الآبد الى أبد الآبدين ولا يبقي على الجسد الذي انفرغ منه الا آثار الهزيمة والانكسار ومبادىء التعاسة والامتعاض والاستياء والان فقط صرت ادرك ادراكا عميقا انني قادر تماما على العيش مع امرأة لا احبها ولكنني غير قادر

ابدا على تحمل امرأة لا تحبني واكثر من ذلك صرت ادرك ايضا انني اخطأت وأن الخطأ لا يصلحه الا خطأ اكبر منه كما قلت لك من قبل وصرت تتأففين تتأففين كثيرا كثيرا كثيرا وأنت تقولين فهمنا فهمنا فهمنا علينا أن نترك بعضنا بعضا أليس هذا هو ما تريد وفي الوقت نفسه امتدت يدك الى الباب الازرق لصقك ولم تكن تلك هي المرة الأولى ودون أن اغير من السرعة التي كانت في اقصاها قلت لك بهدوء عميق لا ليس هذا هو ماأريده لا ليس ذلك هو ما اريد وانتفضت بوجهي الذي ظل معلقا بالظلام والضوء وأنت ترجفين حيرت طيزي معاك حيرت طيزي معاك وبكل طاقتك على الفهم حاولت أن تفهمي ما اعتراني منذ أول المساء وماكنت اخبئه لك ولي طيلة هذه الرحلة الغريبة ولم تدركي كما لم ادرك أنا من قبل ما كان يحاك حولنا من مفاجآت والان بعد أن توضح كل شيء وبان الخيط الابيض من الخيط الاسود لم يعد على لساني ولا في قلبي ولا بذهني الا شيء واحد أريد أن أعيش أن أعيش غير مغلوب على أمري لقد أدركت بشكل مفاجيء في ذلك الليل الاخير أن أردأ المخلوقات واكثرها بؤسا وتعاسة هو المغلوب على امره ولم يعد من شك لدي في أن أكون طرفا فاعلا في امر حقير خير الف مرة من أن اكون مغلوبا على امرى في شأن خطير واردت أن اقول لك ذلك الا أنني صرت اخاف الاجوبة اجوبتك القامعة كما كنت اخشى الاسئلة المتجرأة من قبل كانت حالة القمع المزمن والاضطهاد العميق التي استعمرتني طويلا لا تزال فعالة عندي مع أنني لم أتوقف ابدا عن الانتصار عليها ومن جديد غلبتني تلك الخاصة المأساوية التي تسم عادة افعالي وردودها وتتجلى مباشرة في مشاعري وافكاري واحاسيسي خاصة الاحباط المزمن والمستمر خاصة القهر العميق وغير القابل للاحتمال وبدا لي أن علي أن انتقم منك أولا وقبل كل شيء وبانتقامي الفوري منك أكون حققت انتقاما من بعض شروط حياتي الحقيرة اكيدا وبلئامة واحتقار ولامبالاة قلت ولكنك تطلب المستحيل وانتفضت أنا اطلب المستحيل ولم لا وهل في ذلك ما يضير أو ما يبعث على التساؤل والعجب اليس من حقي أن اطلب المستحيل وخطرت لي فكرة مباغتة اضحكتني كالطفل الذي يحوز لأول مرة شعور الاحتقار لذويه المستحيل هو الشيء الوحيد الذي لا بديل له ولا مثيل وبصوت عال اكدت لك ذلك المستحيل تماما هو ما اطلب وملأك الغيظ والحقد والشماتة ويدك لا تزال على الباب وأنت تقولين أنت لا تعرف ماذا تريد لا تعرف ماذا تريد ومن جديد قلت لك ضاحكا في قلب ذلك الليل الاخير والسرعة مازالت في اقصاها بلى انني اعرف تماما ما اريد أنني اريد شيئا واحدا فقط لا غير اريد المستحيل سيدي العقيد اريد المستحيل وكالبرق انفتح الباب ولامسنا الظلام الخارج فورا وبدلا من أن تخرجي منه هجم عبره الهواء الصاعق علينا وملأ بحدة

وازعاج جو السيارة المسرعة في ذلك الليل وبدأ الهيكل المعدني الرقيق يتطاير فوق الاوتوستراد الاسود الكئيب واحسست بتيارات الريح الهائجة تدخل من منافذي جميعها تريد أن تقتلعني من جذوري أن تلقي بي بعيدا عنك كما القوا هم بي وبك من قبل وتشبثت بالمقود اللين والمتين مقاوما عوامل الموت والاختلال وفزعت يدك اليسرى الى اليمنى تشدين بهما الباب شدا تحاولين اعادته الى مكانه الطبيعي من المكان وقاوم هو العودة كما قاومتها أنا من قبل وتشبثت به كما تشبثت بي وملأ صراخه الفزع الفضاء ماما ماما ماما ورجوتك مرة اخرى لا تفعلي ذلك من اجله من اجله هو من اجل من دفن بالشام تحت الرصيف رصيف باب توما الاجرب المسود في ذلك الليل الرطب المغشوش ليل دمشق الشتائي القارس حيث باعة الكتب وبياعو الكستناء المشوية والشوندر الساخن ومن جرارهم النحاسية الحامية يفح البخار الابيض الفائر معلنا عن استواء الفول في ذلك الشتاء المتجهم الملعون شتاء باب توما الذي التهم الصغير الجميل كما يلتهم الحوت المدرب سمكة من الحجم الضئيل كنت وحيدا ووحيدا فقط اقلب دمشق رأسا على عقب ابحث عن طبيب ابحث عن ساحر ابحث عن ساحرة ابحث عن احد يحميك ويحميه من التلف والانحلال واخيرا عدت اليك وحيدا كما ذهبت وتريدينني من جديد أن أعود كما عدت خائبا من قبل وهل تحتمل الحياة الواحدة خيبتين وتشبثت بي وتشبثت بك كما يمكن للخائب أن يتشبث بالخائب والخليع بالخليع باب توما كله خال من الناس والأطباء والحكماء والأهل والعشيرة والناجدين اين ذهبوا اذن وراء العلوة العالية والأكمة الثبور في غياهب الغيهب في مكان حطوا رحالهم واستقروا العمام والخوال والاصدقاء وحسان وبندر وعبد الله وعواد وصالح ومحمود وترفه وهدلة وهاجر ومن نسيته منهم ومن لم انسه ومن انساه كل يوم وكل آن وفايز وممدوح وانور وانت وانتِ ايضا وأنا والاخرون جميعا من المحيط الى الخليج هؤلاء الحواشي والارقام ويسألوك ياليل امتي تعود ياليل وعلى ضوء صوتي الذي تحنن ورق اعيد الجزء الى مكانه الطبيعي من الكل وكالطفل الخائف والمرعوب ارتميت بك وارتميت بي واحسست برأسك المتشنج يبدأ الارتخاء وكأني اردت أن اعتذر منك ملأت كلماتي بعاطفتي كلها وقربت فمي من رأسك الغافي أو الذي بدا لي كذلك وقلت بامتعاض ذلك كله كان خطأ سيدي العقيد كان خطأ ولم يتغير نظام تنفسك كما كنت أتوقع ولم تنتفضي انتفاضا ولم يبد عليك أنكِ سمعت مما قلت شيئا أو استمعت اليه لقد راح قولي هباء اذن لقد راح ولم يبق لي الا الأمل بأنك تختزنين في السبات مايمر بك من اقوال ولكن اذا كان ذلك مأمولا فهل يكون معقولا وببساطة خطرلي أنك لم تكوني تنامين واذا لم تكوني ماذا كنت تفعلين اذن في تلك الحالة المريبة من الغياب العميق والى أي عالم صرت

تنتمين بعد أن تركت عالمي وكيف غفلت عن الحركة والليل والضباب والهباب الاسود المحيط بالاتوستراد والذي ظل يلاحقنا طول الطريق من باب توما الى الازبكية ومن الازبكية الى السبع بحرات ومن السبع بحرات الى عين الكرش ومن عين الكرش الى هنا ومن هنا الى هناك وخطر لي أن امتحن عمق سباتك بأن امد يدي اليه بهدوء ان امسك بالزائدة المخروطية التي تنبثق انبثاقا مثلثيا من بين الجبال والتي ليس في قمتها الا الاعصاب والعروق المتهيبة المتحفزة هي وحدها التي يمكن أن تدلني على حقيقة حالتك الحالية وعلى غموضك اللعين الا أنني بدأت اشك بكل شيء حتى بفعالية تلك اللحيمة المستثارة باستمرار صرت اشك بحقيقة أن اكون مرتبطا بك الى هذا الحد حد التحري عن عمق سباتك وسبات سيدي العقيد سيدي العقيد نفسه الذي هزني من كتفي معا وهو يصرخ اخرج برا اخرج برا ومذ ذاك وأنا أهيم في المفاوز والقفار ويسألوك ياليل امتى تعود بالليل واتلوى كما يتلوى جريح مهمل وأنا اراقب هيئاتك واعضاءك ورأسك الذي ظل مرميا وبدا لي هذه المرة أنك تنامين نوما تاريخيا عميقا كنوم الجامع الاموي الشديد فقد ارتكى رأسك دون اناقة على فرجة القص وتهدل دون سبب واضح خداك واستند اعلاهما على ادناهما استنادا رخوا ومتتابعا وبدت شفتاك خدرتين ثقيلتين تكادان أن تسقطا على الثياب وانغطت العينان بجلودهما وكاد لعابك أن يسيل وبدوت بكليتك كامدة مكسوفة ملمومة على حالك خشية الاصطدام به أو الارتطام بي ولا بد أن يدك الطرية جاءت عفو الخاطر فوي وارتمت دوني بارتخاء شديد كيد النائم منذ دهور لقد عدت وحيدا اذن وحيدا اواجه الليل والحركة والاوتوستراد واضواءه المتلاحقة دون رحمة وبلا توقف بحثت عنك هنا وهناك ولم اجد سوى الصمت والسكون وحفيف الطحن العميق للدواليب المطاطية المنفوخة بالمادة وهي تنعجن على الاوتوستراد الاسود الصقيل واذن ألم تكوني موجودة قط ولم تكوني ابدا ولا حتى منذ لحظات ولكن اين اختفيت وكيف وهممت ان الدغك في الظهر لا في الالية لا في الثدي لا في الخاصرة لا في الفوهة العميقة لا لا هنا تماما على هذه الاصلاع المقوسة والأليمة هنا اعرف أنني سأوجعك وجعا فيزيائيا لا تتحملينه وسيكون بامكاني عندئذ أن اختبر حقا عمق سباتك وانهيارك ومادتهما ومداهما ولكن لا لقد كنت هنا وحكيت كثيرا حكيت لوما وشتائم ومسبات وعبرت عن هياجك وانفعالك دون خوف أو رهبة أو حساب نامي اذن بهدوء نامي الى ابد الابدين نامي كما ينام سيدي العقيد الان في مخدعه الزوجي بالشام حيث شخيره الحميري يختلط بشخير زوجه وبهرهما معا يختلط بالشخير العام وهأنتذي تستلقين مثله تماما جنبا على التراب وجنبا الى الهواء ورأسك يتدلى ويداك مشلولتان والنعاس يحيط بك من جميع الجهات يدخل من

منافذك كلها يتسرب اليك بشكل مخيف يقبع في كل جو من اجوائك نادي سيدي العقيد فلن تفيقي من سباتك بعد الان لقد انتهت مهلتك التاريخية ولم يعد امامك الا الزوال وملأتني الرغبة لأن أهدهدك بحنان كما تهدهد الأم الرؤوم وليدها العصيب وتهيأت لأن امسح ظهرك الأملس مسحا لطيفا لم تعرفيه من قبل عسى أن ينقل المسح اليك أحاسيس التأزم والألم والغيظ وأمسح الظهر الصقيل فعلا مسحة مسحتين ثلاثا تسعين وكل مسحة تحمل آلاف المسيحات وكل مسيحة تتضمن آلاف اللمسات وكل لمسة الاف اللميسات وكل لميسة تحمل الاف المشاعر المليئة بالقلق والخوف والندم والعذاب والرغبة في قتل الاخر وأكله وشرب دمه لماذا نوجد معا وحدنا الان على هذا الطريق الاسود المعتم الخالي من كل شيء الا من الظلام وبالذات في هذه المرحلة الطويلة المسئمة التي لن تنتهي ربما الا بالموت ولماذا تركبنا منذ أول المساء هذه الحالة المريبة من الحركة التي لا تقبل الهدؤ ولم يتوجب علينا أن نصل البحر قبل الصباح ومن يدفع بنا دفعا الى أن نسرق حياتنا الخاصة سرقة سرقة كفى هات يدك الصغيرة الجميلة واحبسيها هنا في يدي يدي الملتاعة هذه وتعالي معي الى هناك الى أول ارض مس جلدي ترابها واسمحي لي أن أعود كما كنت من قبل راضيا عني وعنك وعن العالم كله وعن الاحياء الدنيا والارض والسموات والحيوانات العجيبة اللاطئة في اعماق البحار وفي جوف الارض هل نسيت أنه ينتظرنا هناك هناك تماما تحت الرصيف الرصيف الاسود الوسخ رصيف باب توما وبالدقة تحت الحجرة التسعين التي انزاحت ليلا عن مكانها وعادت اليه بعد أن دفن تحتها بهدوء تعالي معي الان الان الان ولندع البحر يمت في احشاء الارض الارض التي نفرتنا معا كما تنفر الدابة المتوحشة وليدا كرهته تعالي معي ارجوك فلم يعد يرضيني أن أموت لا هنا ولا هناك وأعدك اعدك بمحبة انني لن أنام قبل أن أوصلك البحر قبل الصباح وقبل أن اتفرج عليك بكليتي وأنت تخلعين ثيابك قطعة قطعة ولن أفوت لحظة من عريك الجميل وسأتمتع في هدوء الصباح الرطب وأنا ارى الى البحر الابيض المتطرف يشق ماؤه بعضه بعضا يتطارد بحبور وجنون حتى يتكسر على الأرض الشرقية البعيدة ومنها يجيء الي ومن ثم يعود القهقرى حتى الشام ولن اغض الطرف عنك وانت تنحنين مرسلة بعض ثدييك الجميليين الى القاع كاشفة عن سناسن فقراتك المتراكبة بانتظام واذا دعوتني كما كنت تفعلين من قبل فلن أتأخر عن المجيء اليك هذبا هذبا واجعلك بين ذراعي الطويلتين والقي بك بعيدا في العمق العميق ومن ثم اشهلك كالولد الغطيس لأمص الماء من فمك ومن فوهاتك الأخرى مصا مصا واتابع بانتعاش تلويك اللذيذ يخترق جسدك من اقصى نقاطه الى اقصاها وأنت تعانين من حالة النزق والبرق والاضطراب ولن افك عنك قبل أن

ترتسم ابتسامة الاكتفاء القديمة على قسماتك السفلى والعليا معا وترتخين بعد أن اكللك العبوس والاكتئاب انني اريد بقوة أن انهي نظام حياتي البائسة حياة المقموعين والعبيد وبصفتك انت الاخرى عبدة مقموعة فسيكون ذلك لك مفيدا جدا مفيدا بحق ولقد قلت لك ذلك منذ اللحظة الأولى التي التقينا بها في ساحة النجمة بالشام عندما رنت ضحكتك العالية رنينا صاعقا وأنتِ ترددين أنا عبدة أنا عبدة وتسابقت ضحكتك الجميلة مع الريح والشمس والحرارة والأشعة البيضاء الصفراء الحامية التي كانت تكسو دمشق من الجبل الى الوادي ومن الوادي الى قمة الجبل وتصعد عاليا حتى اعلى ذرة في هوائي الاذاعة والتلفزيون المنتصب نحو السماء ببلاهة وغباء ورأيتها رأيت ضحكتك الداوية تصطدم بحيطان الفرنسيسكان البيضاء الواطئة كأطياز طالباتها السمان المترجرجات لترتد ارتدادا الى انحاء فندق امية الفخم الذي لم نكن نعرف منه الا الحيطان الحصينة فهو كما تعرفين فندق وفود الدولة ومدعويها وازلامها واقلامها ومن الفندق المحروس سرا وعلانية ركضت الضحكة المفلوتة الى التجهيز الأولى وهناك لامست الجدران الصفراء الهادئة والرصينة قبل أن تعود الينا من جديد أنا عبدة أنا عبدة ولما لا قلت لك قلت لأنه ليس صحيحا ومن قال لك أن الصحيح دائما هو الصحيح ولم تقولي هذه المرة شيئا لكأنك كنت تنامين حقا لقد اضعتك اذن اضعت كل شيء بما فيه أنت مجتمعة ومتفرقة بعد أن لملمتك ساعة بعد ساعة لقد ابتاعك مني تجار السلعة والمفرقعات ولم يعن لي على البال أنك ستعودين الى مربطك القديم راضية بكل شيء بما فيه تركي أنا وحيدا خالي الوفاض أتكون هذه اللمحة هي الحياة هي كل ما يفرق تجربتين وطبقتين قطعا معا بعض الطريق اتكون تلك الواقعة واقعة انسجامنا برهة برغم كل ما كان يفرق بيننا هي الاعادة السخيفة والساذجة للانسجام المصطنع الذي لا تزال السلطة تفرضه بوسائلها كلها على الناس موهمة اياهم أن ذلك هو الصواب ولكن لم اعدنا ببلاهة انتاج ما انتج من قبل ولم لم نر كلانا الخلل الكامن في الحياة وانه كان علي أن القي بك بعيدا منذ البدء مع طاقية سيدي العقيد البائسة في ارض الشام وأن اسير وحيدا معزولا حتى عن طبقتي الخانعة بعد أن انعزلت عنها كان علي أنا أن ادرك أن الحب الوحيد هو حب الحياة وأننا منذ أن نبدأ بالتضحية من أجل شيء فإننا نبدأ في الوقت نفسه في ارساء قواعد كرهه الذي لن تحده حدود هذا الكره العظيم الذي سيدفع بنا عاجلا أو آجلا الى خرق التضحية والالقاء بموضوعها الى الجحيم ويصير شعارنا الجذري فرّ فإنت حر ومع ذلك بقيت ساكنة وعلى قسماتك المحطمة يرتسم الاستياء والنكد والكمد والتذمر والقنوط من غيرك الى هذا الحد من شتت احاسيسك الحلوة واطفأ جذوتك وجعل منك هذا الكائن البائس الهامد اللابد وكنت قوية وعظيمة كيف عبرت

من الضفة الى الضفة وهل بامكان البحر أن يبتلع جثة مثلك بعد الان وتعجبت من حالي ولكن لماذا لاازال اصر على وصول البحر قبل الصباح لماذا لماذا لماذا وكأنني ندهت عليك بأعلى صوتي رأيتك تقفزين من اعماق السكون ملهوفة خائفة حائرة وأنت تتسائلين وصلنا وصلنا لا لم نصل بعد وربما لن نصل ابدا وتطلعت حولك برعب وتساءلت من جديد ولكن اين هو اين هو وتعجبت أنا ولكن من هو الـ «اين هو» ولم تسمعي كلامي وفي الكون الصغير الضيق بحثت عنه بحماس وكأنك تبحثين في عالم شاسع واسع لا تحده حدود كنت تبحثين عن شيء لم يوجد قبلا ولن يوجد فيما بعد ومع ذلك كان يملأ نفسك بما لا يمكن وصفه أو تحديده وبلا معنى محدد قلت لك ببساطة لقد سبقك الى البحر وهجمت علي بقسوة لم اكن انتظرها آنذاك لقد قتلتَهُ هو الآخر اذن لقد قتلته وهجمت علي اكثر واتقيت شركِ بشر اكبر منه فخمدت فورا وانت تنتحبين لقد قتلته ولجة بعد لجة ضاع انتحابك الحزين في هدير السيارة المسرعة وفي ضجيجها الكثير المستمر وكأني لم اكن على علم بوجودك قربي ظللت احدق باقصى الدقة والانتباه في الطريق الاسود الممدود امامي دون حدود ولم يكن ذلك الكائن ــ الكابوس الذي امتلأ كيانك به الا أنا انا الذي نفرت مني ونفرت منك ومعا نفرنا من الارض الأولى ونفرت منا وصرنا ننفر من كل شيء ولم تسمعي مما قلت شيئا كنت لا تزالين تصرخين في ضيق السيارة المسرعة نحو الجنوب ولكن اين هو اين هو انا الاخر كنت احب أن اعرف أين أودعته ذلك الولد الجميل ذو العينين البيضاوين الشاسعتين واللون الأصفر الهالك والابتسامة الشغوفة وبعض الخصائص الاخرى التي لم تعد تعن على البال ولم تحاولي أن تفهمي معنى الكلام ولا ابعاده كان النزق الذي سيطر على كينونتك اقوى من الحروف والألفاظ والكلمات والمعاني والاشارات جميعها وصرت لا تفعلين شيئا سوى هز جسدك هزات ملعونة وجلة قاتمة التوجه والامتداد وتأكد لي أنك ستموتين هذه المرة لا محالة ستموتين وستموتين قبل أن نصل البحر قبل الصباح وقد اموت معك أنا الاخر فما جدوى الشريد بعد موت الشريد وكالمدفوعة بقوة سحرية لاتقاوم عدت الى اتهامك الصاعق لي لماذا قتلته وكيف وبدأت اشك في الأمر أنا الذي قتله اذن انا الذي أنا الذي وبدأت تلحين عليّ الحاحا وبدأت اشد السرعة شدا وكلما اقتربت مني كنت اقترب من البحر اكثر فاكثر وكما لم ينفع الحكي من قبل لم ينفع الخرس في درء السوء عني وكما لم يجد القول شيئا لم يهدىء صمتي العنيد من روعك وكما مات الكلام كان السكوت ميتا اصلا وبدت حالة من الانفكاك والارتداد والاحباط تتسلط علينا لحظة بعد لحظة ولم اجد احدا يشبهني الى هذا الحد اكثر منك أنت أنت بالذات تشبهينني الى هذا الحد ولكن كيف كيف يمكن لحياة مشتركة على قصرها أن تطبعنا معا بكل هذا القدر من البؤس والاخفاق واللؤم والقسوة والحقد والتذمر والاستياء وكيف صار احدنا نسخة عن الاخر نسخة في التصرف والسلوك

والمأكل والملبس والحركة والسكون والاحتجاج والقبول والتردد والاقدام والانفعال والاحلام وحتى في الخيال وفي احتقار الاخر وكرهه ورفض العيش معه والعيش معه مع ذلك باصرار كيف صنع كل منا الاخر على شاكلته ومثاله وبمثل هذه الدقة والصرامة كيف كيف كيف ودون ضجة رأيتك تتطلعين الي فاغرة فاك ويداك مشدودتان وكأنك تقبضين بهما على العالم المنهار كله على السر الذي كنت ابحث بلهفة عنه منذ أول المساء ولم اسألك شيئا ولم ابتعد عنك ولم اقترب منك ولأول مرة وانا اتشبث بيديك الساخطتين اليابستين احسست بالزمن يمر هنيهة بعد هنيهة يمر مرورا مبتذلا وسخيفا وتجسد لي بشكل بائس ومخيف مدى السأم والامتعاض الذي يملأ نفسي السأم والامتعاض من السكون ومن الحركة ومن الكلام ومن الصمت حتى بعد أن افتقد كل منها معناه العميق معنى التحول الجذري والنمو الذي كنت احلم به منذ زمان وبدا لي أن الخصام نفسه صار قيدا جديدا من قيود الاستمرار في الاستمرار لماذا ابعثر جهدي هباء اذن لماذا لماذا اعيد انتاج ما انتجته السلطة الكلية من قبل لماذا لا أتوقف هنا والان في هذه النقذة بالذات تصوري كم هو عظيم هذا الخطأ غير المقصود لا ادري كنت اريد أن اقول في هذه النقطة بالذات من الكرة الارضية وفي زمنها هذا واحل الأمور حلا تارخيا واضحا ووحيدا فكثرة الحلول دليل القبول بالاستمرار في الوضع الذي نبحث عن حل له ان اذهب باتجاه وتذهبين باتجاه آخر وفورا ودون تأخير أو تنظير كانت المجابهة قوية وعميقة مجابهة شديدة البأس مجابهة بيني وبين نفسي بين رغبتي الانية وبين كوابحي الذاتية التي انغرست حتى النخاع في كياني بين طلبي للذة والتفتح والانتشار وبين النواهي الاخلاقية البغيضة التي تشل النفس شلا بين ما اعرف وما لا اعرف وما أن شعرت بحركة السيارة تتبدل حتى قفزت في مكانك مرعوبة وحدقت في وجهي الغامض المحتقن باشياء لا تحصى ولا تعد وأنت تهدديننني لا تتوقف لا تتوقف صرت اعرف انك صرت تخافين من الموت ومن الموت على يدي بالذات وهذه المرة كنت متأكدة من أنه حان وقته وصار على الابواب ابواب السيارة المسرعة في ذلك الليل وانني منذ أن نكف عن الحركة والدوران سأقذف بك بعيدا مثلما قذفت به من قبل وسأتابع الطريق وحيدا دونك ودونه ودون الاخرين الذين قذفت بهم مع طاقية سيدي العقيد البائسة في ارض الشام سيدي العقيد الذي خلفته في غبش الصبح مطروحا على فراشه الوثير وقرب رأسه الابله الصغير مطرة الماء البارد الذي حطه بها بنظافة تامة برغم اتربة الجبهة وحوساتها حاجب سيدي العقيد خادمه المطيع وعبده الخضيع الذي كان عليه أن يحيي سيدي العقيد نائما وقائما وقاعدا ولابسا وعاريا وأن يحييه حيثما كان وحيثما وجد في المرحاض وفي المكتب وفي السيارة وفي الطريق وفي السرير وفي لا مكان ودون أوضاع ومنذ أن يشتم رائحته الكريهة رائحه ضراطه أوخراه أو فمه المليء دوما

ببقايا خضر الجبهة ومزروعاتها دائما عليه أن يقول باحترام ودون احترام لايهم المهم الصوت صوت الطائع الخاضع المحترم الذليل دائما عليه أن يصدر ذلك الصوت المسموع احترامي سيدي العقيد وليس على سيدي العقيد حتى أن يسمع بله أن يجيب فسيدي العقيد مأخوذ بأمور الجبهة والجيش والحرب والسلم والكر والفر والمناورة والذهاب الى البيت خلسة للتحري عن سلوك امرأته في غيابه والاياب من البيت بعد أن يؤدي واجبه الزوجي مرة كل اسبوع صرت تخافين اذن من الموت ولكنك كنت تجهلين أنني لم اكن لافعله الان وبالشكل الذي كنت تتصورينه لقد تعقدت الامور كثيرا منذ أول المساء وبدا لي أنه من الضرورة بمكان أن اقتلك قتلا جذريا جديدا لا تفهمين منه شيئا لقد تغيرت هكذا في عمق الطريق طريقة قتلك الذي خططت له منذ سنين لقد تكشفت لي اشياء كثيرة جعلتني اكتسب وعيا جديدا بالامر وعيا لم اعه من قبل فلم يعد يرضيني التراضي ولا التغاضي ولا القتل ـــ الفرد صرت اريد أن اجتث الداء من جذوره أن اهدم البيت على رؤوس ساكنيه وأنا فيهم لماذا تخافين مني اذن لماذا لا تزالين في مرحلة الخوف القديم البائس الخوف على النفس حتى من اهوائها الخوف الديني المقيت ولم تتمالكي نفسك في جو الحركة والضجيج والسرعة والاضطراب فصرت تصرخين بعنف شديد خليل خليل خليل واسقط في يدي فهمت فجأة من صراخك المريع اشياء كثيرة لم افهمها حتى من كلامك الكثير فهمت انني لم اعد اكفيك ولم اعد اكفي نفسي ااكون صرت في مرحلة القصور التاريخية اذن ولكن لا ليس ذلك صحيحا ابدا ابدا ابدا كنت محتاجا الى بعض الحنان فقط وكان ذلك وحده ما ينقصني آنذاك ولم تمدي يدك الي ولم تحاولي التخفيف عني كنت تريدي أن تعامليني واحدة بواحدة حتى النهاية تلك كانت عدالتك السخيفة عدالة الأوراق والاضبارات والقوانين المصطنعة عدالة الحق الذي لا حق له ولا وجوب عدالة الحق الكاذب في عالم مبني كله على الغش والغبن والاحتيال والاستيلاء المقنع والمكشوف على حقوق الاخرين وبوعي شديد صرت ضد كل ما يمكن أن يدفع الى مثل هذه القساوة والوحشنة والصدود والبرود وأصابني فجأة فقد الرغبة العميق في كل شيء حتى في قتلك الذي استولى علي لسنين طويلة لقد استوفى كل شيء شروطه وبدا الابتعاد عن هذه البؤرة الخبيثة امرا محتوما وضروريا ليس الابتعاد في المكان فحسب بل الابتعاد في الزمان وقبل كل شيء الابتعاد في الحركة والتصرف والسلوك الابتعاد ابعد ما يمكن عن بؤرة الموات الجديدة عن مصدر التسلط المقنع واللئيم عن التسلط المتبادل والمتواقت والموتور وللحظة تبدل كل شيء وأخذ القمر يعلو في السماء الزرقاء وعم الهدوء الطبيعي الخالي من المركبات الكيميائية التي انحشت مصارينا بها يوما بعد يوم وربما عقولنا ايضا عم ذلك

الهدوء العميق غير الملوث أو المصاب أو المعالج أنحاء المعمورة كلها من جبل [illegible] العزيز
الى الخابور ومن الخابور الى جبل كوكب البركاني الهامد شرقا ومن جبل [illegible] الى جبل
سنجار البعيد وتلامعت في زرقة الليل شبه الصحراوي الشامل والعميق صفحة الماء
المسماب جنوبا حتى الفرات وبدا الكون مهيبا وكبيرا حتى ولو لم يوجد بحر الظلمات في
اقصى الارض في اقصاها وعلى حافة الدرب الوحيد الذي ينبثق من هنا الى هناك التففن
حولي متسائلات وين رايح امتي جاي وش موديك ومين لك هناك وليش تاركنا وهذا ابوك
وهذي امك واختك واخوك واهلك والعمام والدنيا كلها هين وقبل أن اقول شيئا احس
بانفها يدخل جلدي دخولا عميقا يشم رائحتي الخاصة شما شما ومن فوق منكبها العريض
اتطلع يمينا ويسارا امسح الحسكة من الجغجغ الى الخابور ومن الخابور الى العزيزية ومن
العزيزية الى غويران وفي البعيد يتجلى تل غرة جاثما وكبيرا تحيط به حقول القطن المروية التي
لن اراها بعد اليوم القطن الذي اخرجته برعاية من اجراسه البنية المتفتحة كجسدك
العميق يوم كان حنونا وما أن يقترب باص المساء حتى أتف نفسي بتصميم من كل من
يحيط بي اريد أن اروح أن ارى دنيا اخرى وبشرا آخر في حلب في الشام في اي مكان من
العالم ومع ذلك اقذف بالوصية تلو الوصية واحس بدخان المازوت المنطلق من فوهة
الباص السفلي يقع حاجزا بيني وبين ماقيل واكثر من ذلك رأيت الدخان الاسود الكثيف
يلفّ الوصايا لفا ويعيدها الى المكان وبدت جثثها تتساقط واحدة فوق اخرى الوصية
الأولى الثانية الثالثة العاشرة العشرون كان باص المساء يغوص في المسافة والليل ولم يبق من
ذلك العالم الا أنت واذن فانا لم ابرح المكان بعد ولم اتخط الزمان هل فهمت اذن لماذا اريد
أن اقتلك هل فهمت واكثر من ذلك هل فهمت لماذا اريد قتلك بطريقة اخرى لا علاقة
لها بالقتل لقد تكشف الان كل شيء وصرت اشك في كل مابدر منك وما صدر عنك
وما علي الا أن اتخلص مما غرسته باللين والطيبة في نفسي وفي اعضائي يوما بعد يوم وطيلة
القرون الطويلة التي عشتها فيّ أن انجو منك كما نجوت منها من قبل أن افر منك فراري
من الاسد أن احقق هربين في حياة واحدة اليس ذلك عظيما بلى أنه لعظيم واذن صار
علي الان أن اصل البحر قبل الصباح والبحر لا يتوصل اليه وكالمجنون صرت اصرخ البحر
البحر البحر ولم تمدي يدك الي ولم تهدئي من وحشتي واضطرابي وعلى العكس من ذلك
كنت تتطلعين الي بشماتة رهيبة شماتة الانتقام الحاسم انتقام الجسد من الجسد والرغبة
من الرغبة والوعي من الوعي والمصير من المصير واحسست بي وحيدا وحيدا بشكل وحيد
وحيدا أواجه هذا الكم الهائل من العدائية والمقت والنفور هذا الشيء المخيف الذي ينبع
من لصقي ولا طاقة لي حتى على ايقافه وبعنف غير متوقع لمستك من قريب ومن بعيد

وبدلا من أن تصرخي كما فعلت علي طريق الزبداني كشفت هذه المرة عن قلبك الذي كان يلهث مثل قلوب الكلاب الحانية وجررتني جرا الى جذع الشجرة الحمراء الطويلة وعليها الصقت ظهرك وكشفت عن اعضائك الرائعة فورا ودعوتني تعال وعندما التفت اليك بحنان كان الارتخاء قد بدأ يغزوك واحسست بك منهكة وحزينة لم يبق فيك من تلك الشهوة الا رمادها ودون انتظار رحت تغفين وبقيت وحيدا أغالب الليل اريد أن اصل البحر قبل الصباح والفوران يغزوني والجيشان وأنا الاحق اشيائي الدفينة التي اخذت تنفجر في بهيم ذلك الليل.

لم ارك عدلت

حرقوص التميمي، أول الخوارج يحتج على الرسول

التعاسة هي الخنوع

ماركس

من يقبل أي تنازل في اللغة يقبل اي تنازل في الحياة

عالم لا اتفتح فيه ليس عالمي

لم يعرف التاريخ شعبا أخضع لحكامه من العرب

لا يخيفني شيء ذلك هو ما يخيفني

الحر يقرع بالعصا والعبد تكفيه الاشارة.. ليخضع

لا يصلح الخطأ إلا خطأ اكبر منه

أنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا احكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله أن الصبر على هذا لعظيم
مرداس بن أدية الخارجي

الشذوذ هو الشذوذ الذي لا يثبت القاعدة.

ظهور نوع انتروبولوجي جديد.. ذلك هو ما ندعوه : الانسان المتسلط
ماكس هوركهايمر

الفعل الكامل هو التجربة الناقصة

الانسان بلا اهواء هباء

ليس التاريخ سوى فعالية الانسان وهو يحقق اهدافه الخاصة
ماركس

قيمة الحياة لا تخلقها حياة بلا قيمة

اخرج الينا يا محمد جئناك لنفاخرك
وفد خوارج بني تميم

بعد أن خسرنا كل شيء صرنا نصر على خسران الباقي

الحاضر الذي يعي كل شيء هو وحده الذي يحمل امكانية التغيير الجذري.

اغفر لهم لانهم يدرون ما يفعلون.

الخروج على البعد الوصفي للحياة وعلى بعدها الوضعي ضرورة حيوية لا اخلاقية.

العمومية في مجتمع غير عفوي تخاذل

نقد الفكر مهزلة تاريخية مزمنة، الاساسي هو خرق السلوك.

لافضل لعربي على عربي الا بالخلعة.

عصابات مدفوعة بمثل طاقة الاهواء السيئة هذه، وحدها، جديرة بأن تقلب العالم القديم وأن تعيد الى قوى الحياة حريتها الخلاقة.

من «تاريخ الفوضى»
نقله أ. جورن.

اذا استطعت الا تقعد يوما واحدا فافعل فإن المبادرة بالعمل الصالح افضل ولست تدري متى يأتي عليك اجلك

الاباضية يحثون عبد الله بن يحي على الخروج

الثورة المباشرة هي إلغاء الرقابة الذاتية على الذات

تهديم العالم القديم شغف.

لا ينضج الانسان حتى ينتقل من سن الرشد الى سن الوعي.

علينا أن نختار بين اتقان العمل واتقان الحياة

الاساسي هو أن الاساسي تحطم

الصبر والصمت خاصتان قهريتان تؤكدان بؤس الانسان العربي المقموع

لقد اخفقت في امر ما واخفق امر ما فيّ.

فلنقطع شعرة معاوية

فرصة الانسان التاريخية هي حياته

الرغبة عمياء والحب مفتح

لكي نفهم الوضع الذي نحن فيه علينا أن نغيره أولا

الانسان اللئيم افضل من الانسان الكتيم

الامثال العربية تعني الامتثال للسلطة

نقمنا على قومنا الجور في الاحكام وتعطيل الحدود
المستورد بن علفة الحارجي

الشك هو الشك بالحقيقة

لم يعد لدينا من وهم آن لنا أن نختار بين التمرد والخنوع

عصفور على الشجرة خير من عشرة باليد.

اذا امكن لوعي الفرد أن يولد خارج الوعي الطبقي فإنه لن ينمو، ولن ينضج، الا في سياقه.

الحياة على ما هي عليه تعتمد على اطروحة الدولة التكتيكية القائلة : الانسان لا يفكر.
كارل كراوس

ليس من سبب للفشل الا الفشل نفسه.

العصيان هو عصيان الخالق والمخلوق

الوعي الزائف يمكن أن يكون، هو الاخر، راديكاليا.. ولكن في زيفه.

لا ادري أن كان كل شيء سيصبح افضل عندما يتغير كل شيء، الا أنني استطيع أن اؤكد على أنه يجب أن يتغير كل شيء ، اذا ما اردنا أن يصبح كل شيء افضل.
ليختنبرغ.

العالم ليس عقلا .. أنه رغبة.

كل تنازل في الحياة هو تنازل أمام سلطة

التكبر على أهل التكبر عبادة.

الرسول

اذا كان الانسان مكونا من الظروف فإنه لمن المهم أن نكون ظروفاً انسانية

غي ديبور

الرأي العام ذلك الشيء الذي لم احسب له حسابا في حياتي

ماركس

ما تمتع غني الا بما جاع به فقير

علي بن ابي طالب

لا ينفصل مفهوم التمرد عن مفهوم الفعل ولا وجود للفعل خارج الانا.

الشهية تفتح الطعام

مستوى النقد هو نفسه مستوى الوعي

اية مقارنةومع اي كان في هذا العالم، ليست جديرة باقناعي ولا مرضية لي، فما اردت أن افعله في حياتي لم افعله.

الشوينغوم لم يحطم الميتافيزيقا، هو نفسه، صار ميتافيزيقا، ذلك هو ما يجب أن نفهمه بوضوح.

ماكس هوركهايمر

التقسيم المادي للعمل هو أساس تقسيم العمل الفكري.
ماركس

أحمق الاسئلة، السؤال : لماذا لم تفعل هذا من قبل.

أهواء !؟ افعلوها اذن.

متى نعط الكلمات ما لها من معنى، والافكار ما لها من قيمة والسلوك ما له من بعد.

أهمّ وظائف اللسان الصمت.

علينا أن نذهب الى ابعد من هذا الانهيار الجزئي.. بالتأكيد ولكن كيف ؟
غي ديبور

خوفنا منها هو الذي سلط علينا السلطة .. ذلك هو بؤس من الخوف.

اللغة هي الأكثر خطورة من بين جميع المحوزات.

تقاليد الاجيال الموتى كلها تجثم مثل كابوس على عقول الاحياء

ماركس

لتكن مشيئتي.

الوعي الجذري ينمو ولكنه لا يكتمل أبدا.

الصبر مفتاح الكرب.

الحلم يحرك والوهم يثبط.

في العجلة السلامة وفي التأني الندامة.

لا يستطيع الفرد المعزول حتى ولو أراد أن يصلح أمة أو أن ينقذها من الهلاك، كل ما يستطيعه هو أن يقل لها ببساطة أنها سائرة نحو الانهيار.

« ؟ »

يولد التمرد من التنافر بين طبائع الافراد ووضعهم العام

ماركس

التفكير في شيء يعني فعله مسبقا.

تسلطنا على الكلام يسلطه علينا.

ومع ذلك يتزعزع كل نظام قائم، كل مرة، يحاول فيها أناس مجهولون أن يعيشوا بشكل اخر.

غي ديبور

الكذب على الاخرين موقف واع والكذب على الذات وعي زائف.

الثورة عملية اجتماعية معقدة وليست ادعاء سلطويا سخيفا.

لا يقتل جدوى الحياة الا مفهوم الجدوى

منطق الدولة العربية المستبدة، اليوم، جعل القمع المعمم امرا عاديا .

مع الهوى ضد العقل، ومع العقل ضد الاخلاق.

الدين هو الاخلاص والاخلاص أكلته السلعة

العفيف الأخضر

سيعيش غريبا في هذا العالم من لم يحظ بامرأة ذكية جميلة وخارجية.

لا يزال التصور اللينيني ـــ الستاليني للعالم يرى أن الانتساب الى البروليتاريا أو التطابق معها ماديا ميزة، في حين أن مهمة البروليتاريا التاريخية، كما تصورها ماركس، هي النضال بضراوة للخلاص من وضعها البروليتاري.

انعدام القيمة، قيمة.

لا يزال العربي التقدمي مزيجا من النظرية الثورية والممارسة الرجعية.

هذا كله لا يستحق الا الثورة.

الانتاج الفكري حتى في اعلى مستوياته، ليس مقبولا في نظر البورجوازي، ولا مبررا الا بقدر ما يدر من الارباح.

ماركس

كل حكم هو بالضرورة حكم قيمة.

ليست الشجاعة في تحمل بؤس الحياة، بل في مواجهة احكام الاخرين البائسة.

أن تقول ما هو خطيء بطريقة صحيحة، أصح، من أن تقول ما هو صحيح بطريقة خاطئة.

هوية الانسان الادارية ليس مشكلة، المشكلة هي هويته التاريخية.

أن تركز الموهبة في عدة افراد حصرا، هو النتيجة المباشرة لتقسيم العمل

للحياة نظامها الجذري وللسلطة نظامها القسري، وبينهما يتفتت الانسان

ليس التمرد أن تفعل ما تريد، بل أن تفعل ما لا يريده الاخرون.

هم يعارضون السلطة، ونحن نعارض التاريخ.

الدرس الذي يعلمنا أياه القمع العربي المعمم هو أن الاخلاق والدين أضعف دونه.

العقل البيروقراطي عقل يسوعي عمقيا
والبيروقراطيون هم يسوعيُّو الدولة ودينيوها
والبيروقرطية هي الجمهورية ـــ القس.

الكبار لا يبدون لنا كبارا الا لأننا نحثو على الركب، فلننهض.

عن مجلة «لوستالو» 1789

نقله ماركس

اطلع أهواءك واعص من شئت.

سانشو لم يفكر لحظة أن الأوضاع كانت دائما أوضاع بشر وأنها لن تستطيع أن تتغير ابدا دون أن يتغير البشر، وطالما أنه يجب أن يحكي هكذا، دون أن يستاؤوا هم انفسهم من «أنفسهم» في أوضاعهم القديمة.

ماركس

لا تستعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان.

حسانية المرأة هي المصدر الوحيد لروحانية الرجل.

كارل كراوس

التهور الوحيد المجدي هو التهور في الهوى.

منذ أن تعرف قيمة الشيء، لا تظل له قيمة.

لماذا تغدو الحياة فارغة أن لم تفرغها السلطة.

الثورة المباشرة هي حذف الوسيط من الوسط.

منذ أن نحسب حساباً، نقبل بالتنازل
ومنذ أن نقبل بالتنازل نرضى بالخضوع
وليس للخضوع حدود.

لنكن ذوي نزعة، لا تابعي ايديولوجيا.

اخذت على عاتقي حتى مهمة تحسين الطقس
أحد الرؤساء العرب

المعارضة هي المعارضة الاممية.

رأسمالية الدولة، دولة الحاضر المتسلطة : فضاء جديد مفتوح لتنمية السيطرة باستمرار.
هوركهايمر

نهاية التاريخ الايديولوجي ... بداية التاريخ المشهدي، تلك هي حقبتنا الان.

ما يؤكد بؤس الانسان العربي المقهور، هو أنه الى الان، لا يملك الحق حتى في استعراض قواه الحية، بله استعمالها.

القطيعة ... فظيعة.

الوعي اكثر تعقيدا من الواقع وأن كان يتركب منه.

علامة التمرد الأولى، هي ألا تبرر ما تفعل.

أنها النشوة حقا، نشوة الخسارة، خسارة كل ما هو جدير بأن يخسر

برغم أن الفكر والكائن ينفصلان أحدهما عن الاخر، فإنهما يشكلان وحدة.
ماركس

ليس للقطيعة محتوى تاريخي، فحسب، بل لها كذلك نبرة وسلوك.

من المؤسف أننا كثيرا ما ننتظر اللحظة الاخيرة لنقول أهم الاشياء.

اخطر شيء على الرجل المرأة التي تقيم معه.

العمل بضاعة يبيعها لرأس المال، مالكها العامل،
لماذا يبيعها ... ليحيا.
ماركس

الان، علينا أن نحقق :
انفصال الفكر عن السلوك
والنظرية عن الممارسة
والممارسة عن الفن
والفن عن الواقع ..
ففي عالم يسوده القمع المعمم، كل تطابق مع المرجع، هو، موقف رجعي تافه وتماه مقصود بالسلطة.

الدولة : اكثر الوحوش الشرسة، شراسة، تكذب بصفاقة : الشعب، أنا.

صنع الديمقراطيون (البوجوازيون الصغار) من كلمة الشعب صنما، صنعتم أنتم من كلمة البروليتاريا ذلك، ومثلهم تماما، صرتم، تحلون اللفاظات الثورية محل التطور الثوري.
ماركس

مع الفرد ضد الجمهور
مع الجمهور ضد الدولة
مع الدولة ضد الدين.

احتقر التبرير الخارجي للقمع الداخلي.

منذ أن تفكروا بالكلام يموت، فلا تملأوا رؤوسكم جثثا ونفايات.

وضعت كل عبقريتي في حياتي وبعض مواهبي في كتبي.
أوسكار وايلد.

الثورة ممارسة تهديمية لا تقويمية.

الشجاعة الذاتية ضرورية لأن الاخرين بحاجة اليها.

لا ادري ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون، وهذا الجور قد فشا، والعدل قد عفا، ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا.

صالح بن المسرح الخارجي

العكس دائما هو الصحيح.

الحياة الفاشلة هي اخطر نتيجة لفشل الحياة.

المطلق ضد مفهوم المطلق

الاختلاف هو المبرر الوحيد للمساواة

الفشل هو الشعور بعدم الاكتفاء

يمكن تحقيق الرغبة باكثر من طريقة، وحتى بطريقة المستحيل.

الحب الوحيد هو حب الحياة

أن تكون صادقا هو أن تضحي من أجل هذا الصدق، حتى بالصدق نفسه.

من غشنا فهو منهم

اذا كان الكلام من فضة
فالسكوت من حديد

فر ... فأنت حر

يتعمق رفضي عندما التقى بمن يرفضونني سلفا.

التضحية ... أساس الكره

الحرية هي أن تفعلَ ما تهوى.

ماذا ينفع غير التمرد حيال عالم لا تستطيع أن تغير فيه شيئا.

وما للحي خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع.
قطري بن الفجاءة، الخارجي
امير الموت.

ليس المهم الموهبة، المهم هو الخصوصية.

ليس لثقافة السلطة الا مهمة واحدة : تدمير فكر الفرد وتحطيم قوة نقده.

النهضة العربية لم تكن اكثر من وضع أدوات جديدة في خدمة حضارة قديمة.

أتكلم عن نفسي وأنا اعني التاريخ، ويتكلمون عن التاريخ وهم يعنون أنفسهم.

ليست الراديكالية اختيارا فكريا، أنها وضع تاريخي، اصلا،

مشروع نجاح الحياة هو نفسه، مشروع فشلها.

للمسألة اكثر من وجه وأهم وجوهها، الوجه الاخر.

استعمالنا السهل للكلمات هو الذي يسهل استعمارها لنا.

المساواة حسب قانون الدولة العربية المستبدة، اليوم، هي المساواة بين رعاياها بالخضوع.

جليس السوء خير من الوحدة

هذه القصة حقيقية كلها، لانني تخيلتها من أولها الى آخرها.

بوريس فيان

مفهوم الكلب لا يعض
ارسطو

النقد يكون علنا، أو لا يكون.

الحياة لا تعرف النظام، النظام تحطه السلطة في الرأس.

اخطر شيء على الثقة بالنفس، الاعتقاد بأننا دائما على حق.

العلاقة المتوازنة، هي التي أكون أنا الطرف الأقوى فيها.

التلطيف هو التسخيف.

مالك الشيء لا يعطيه.

ليس المهم من هو الذي يقول الفكرة ولا من أي مكان تأتي، المهم هو مقدار ما تحويه من الوعي وطاقتها على التحريض ..

حياتي هي افضل حياة عرفتها في حياتي.

بعد الحياة الميتافيزقي هو نفسه بعدها اليومي.

اريد أن اذهب بعيدا ومن غير رجعة .. اريد أن اعود من حيث اتيت.

لا تفعل المرأة شيئا لا يريده الرجل الا اذا دفعها هو الى ذلك، وهو، لا يدفعها الى ذلك الا اذا كانت هي تريد أن تفعله.

التمادي في الخطأ خير من الرجوع اليه.

كلما كبر الرجل صار بحاجة الى أم.

عاهة الفكر من عاهة الحياة.

المصالحة الوطنية هي التصالح بين المستغلين على حساب المستغلين.

التفاهة الانسانية ليست شيئا تافها.

أنا باحث ولكن في حياتي.

مشروع الحياة العام هو نفسه مشروعها الخاص.

كلما تعقدت الأمور كلما سهل حلّها.

التحرر الجنسي غاية كل تحرر.

من بين هذه الجموع الغفيرة التي تحيط بي، لست بحاجة الا الى واحد ولكن من هو ؟!

... المكان، مثل الزمان نفسه، هو الاخر، لا يصلح للاستعمال مرتين ..

حياة أساسها سيء وتفاصيلها رهيبة.

أنني ارفض بوعي أن أكون عبدا، وبوعي جذري أكثر أرفض أن أصير سيدا.

تحليل المشكلة لا يحلها.

الشيء الذي لا ننجح في فعله، هو الشيء الذي لا نعرف كيف نفعله

أن لم تكن السلطة دائما على حق، فإنها لا تخطيء ابدا.
متسلط

اليقين الوحيد .. هو اليقين بالشك

لا اريد أن اعود الى قواعدي، حتى ولو سالما.

أتحضُّ على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه.
الخارجي، ابو وازع الراسبي

الحق ليس دائما على حق

الخوف الاكبر .. هو الخوف على النفس من اهوائها.

الانسان الخطير تاريخيا .. هو الخطير على نفسه.

معنى أن هذا العالم اصبح قديما .. هو أنه لم يبق منه الا سيئاته.

اقصى درجات التحرر تتناسب مع اقصى درجات الغيرة .. ولكن على الذات

الخلل الأساسي في حياة كل زوج .. هو أنهما لا يصلان ابدا في الوقت نفسه الى النقطة نفسها.

مستقبلي أنا .. ؟ لم اره ابدا في حياتي.

كل ما نقوله صادق. الكذب هو فقط ما لا نقوله.

الاعتراف بالخطأ، رذيلة.

عندي خوف دائم من أن أفهم خطأ ..
ومع ذلك لم افهم الا كذلك.

مشكلتي الخاصة .. هي المشكلة الاكثر عمومية.

الانسان دنيا نفسه

الماوردي

ما يعذبني هو ما كنت أتصور أنه كان علي أن أفعله، وليس ما أفعله حقا.. ذلك هو أحط أنواع الانسلاب.

اذا اجمع الناس على أمر وخرج عليه احدهم فأجلوه.

« الخوارج الجدد »

العلاقة الانسانية الصحيحة هي الاسرع عطبا .. لان التلاعب فيها غير ممكن.

الاسف الذي يمضنا على الزمن الذي قضيناه دون فعل.. ليس له دور تاريخي، إن لم يساعدنا على استعمال ما بقي لنا من الزمن استعمالا فاعلا وعميقا.

من أين يلزم وجوب الطاعة لمن هو مثله.

عن الخوارج «النجدات»
نقلها الشهرستاني

.

.. فإن ابيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا .. ولكن اخرج الى المسجد فمن شاء فليبايعني .. وأن كرهني رجل واحد من الناس لم ادخل في هذا الامر.

علي بن ابي طالب

لاعدل في مجتمع غير عادل.

الطاعة عصا.

أنه عصر الكآبة المعممة :
لا الاوهام عادت ممكنة
ولا الثورة.

اكبر دليل على صحة ما قلته
هو أنني قلته.

لم اقل كل ما في راسي.
لم اعبر عن كل ما يملأ قلبي.
لم ادمر شيئا.
لم اقتل احدا.
ولم افعل مما رغبت في فعله شيئا.
كنت تعرفين اذن أنني كنت سائرا في طريقي نحو الموت ولذا فضلت الصمت والسكون على أن تطولي لسانك هذه المرة وهذه المرة كان قلبي ينفطر ألما وحزنا وأنا على طريق الجنوب الجانح في ذلك الليل الأزرق البهيم والرغبة في رؤية البحر تلون عالمي القاتم بألوان فاقعة زاهية وجميلة الوان حية متحركة وذكية في حياة فارغة لماذا تغدو الحياة فارغة أن لم تفرغها السلطة لماذا واحسست بك في جو الحركة الهائلة تضعين يدك على قلبك وتتهيأين بشكل ما لحمايته وأنت في السبات وكدت أصرخ وأنا من يحميني ولم اقل شيئا كانت المعركة قد نشبت بيننا منذ زمان وكثير من عواملها واسبابها قد اخذ حجمه التاريخي ولعب دوره الحاسم وانتهى الامر فلم نعد في مرحلة اختلاف الواقع والوقائع فحسب بل صرنا في مرحلة اختلاف الاوهام والاحلام وهي المرحلة النهائية لكل نظام وبدت لي محاولتي البائسة لاعادة الحياة الى مجراها القديم محاولة عبثا ومسألة تسلط وسيطرة واخضاع اخضاعك انت لي واخضاعي أنا بالذات ومن قبل نفسي لك أنت ايضا أنها مسألة قهر مزدوج وخطير كان علي أن ادع الامور تنفلت من عقالها تسير على هواها الا أنني لسوء تربيتي كنت لا أزال اعمل وفق المعيار الاخلاقي القديم معيار الصالح لصالح احد لا صالح له

كنت اظن بشكل خفي ومستتر أنني كنت اعمل لصالحي أنا ولم يعن لي إن المحافظة على امر لا يمكن المحافظة عليه هي اصلا جهد قمعي سخيف ومتشنج وهو ما وسمني بهيئة المتصلب في الدفاع عما لا يمكن الدفاع عنه وأوقعني مرة بعد اخرى في استخراج التبريرات العقلانية الميتة الخالية من كل أثر للحياة لا لمواقفي الاخلاقية والذهنية فقط بل كذلك لسلوكي تصوري لسلوكي وساهمت هكذا بغباء تاريخي هائل في انشاء شبكة من الكره والمقت احاطت بي من هنا ومن هناك من عندك ومن عندي فما جدوى الحب القديم الذي صار كرها والذي كان كذلك منذ البدء وما هو الحب في عالم لا يحب حتى نفسه أن لم يكن هو حب السيطرة والقهر والاخضاع حب السلطة المعصومة من الحب لرعاياها الذين لا تحب الا اخضاعهم وتذليلهم وتعليلهم وقتل تفتحهم وارهاقهم بما يجب وبما لا يجب وتقييدهم بالقواعد والاخلاق بما فيها قواعد السير في الطرقات والجلوس في الحدائق العامة وساعات ارتياد المنتزهات والمباول والمراحيض أنه حب تملك الاخر لا جسدا فحسب بل حتى كموضوع جنسي بحت هكذا ترين أن الحب أو الحرب بالاحرى الذي ادعيناه معا لم يكن الا خدعة تاريخية سخيفة ولكنها خطيرة والان وأنت تلتصقين بي تماما كما يلتصق العضو الميت بالجسد الميت أتساءل بحرقة وانفعال عما اذا كان لتلك الحقب الماضية من وجود ولكن لا لابد أنها وجدت يوما ما وجدت حقا والا فمن اين ينبع هذا الحقد كله على السلطة المتسلطة حتى في حبها عليك أنت بالذات بعد أن كنت معي وصرت علي وما اسهل انتقالك اللئيم هذا الا وعيي الهائف وعي البواب الذي مهمته الوحيدة في حياته هي السماح للأمور بالمرور وتوقعت أن تردي علي من عمق سباتك ردا عنيفا أن تدعي لنفسك متعة انتزاع الزمام مني انتزاعا أن ترددي على مسامعي اقوالك التي صارت الان مقولبة محكمة الانشاء مبنية بدقة وانتظام اقوال القاضي الذي يقعد على منصته المزينة المهيبة الجليلة وهو يلقيها بقطعية وبراءة وانسجام مع الذات يدل عليه بشكل مقصود وغير مقصود ذلك الاطار الخفي ولكن الملموح من التمتع باكبر قدر ممكن من الضمير المهني المقيت ضمير السلطة التي لا ضمير لها لماذا اهنتني بهذا الشكل لماذا كنت أنت الأخرى غبية لماذا كنت أنت الاخرى غبية ولماذا فكر عواد منذ سنين بانشاء امبراطورية الغباء وبتنصيب نفسه امبراطورا عليها ولم تأتي بحركة في ذلك الظلام المريب لقد بقيت ملقوحة بهدوء في كرسيك الذي لا يحق لأحد أن يزاحمك عليه طالما أنت قادرة على أن تحتفظي به أن تملائيه بكيانك كله الا تدعي لأحد ممن حولك مكانا لم تكوني بحاجة حتى الى الكلام وما حاجتك اليه وأنت تسدين بجسدك الفراغ والمنافذ وتحيطين بالمحيط احاطة كاملة شاملة عميقة وحصينة ألم يكن هذا هو بالتمام

ماكنت تفكرين فيه وأنت تعلنين التحدي تلو التحدي وبعد ذلك تغطين هادئة في نومك العميق ولكن ألم يخطر لك على بال أننا لا نزال في طريقنا الى البحر وأننا لن نتوقف بعد عن المسير ولم لم تقولي شيئا تدافعين به عن نفسك ولكن لا لست بحاجة الى الدفاع طالما أنت قادرة على الهجوم وبدا لي أنني سمعت شيئا ما يصدر عنك وأنت في سباتك العميق شيئا يعني ببساطة أن حضوري صار مثبطا لك وعلى جميع المستويات دون أن توضحي الالية والنظام لهذا الثباط هكذا اذن صرت تريدين أن تنتهي من الأمر باسهل ما يمكن وباسرع وقت لقد صرت أنا الاخر عبئا عليك كما صرت أنت عبئا علي والاختلاف الوحيد بيننا هو أنني لغباء تاريخي مستحكم بي تحملتك طويلا ولم تتحملينني لقد حكم التاريخ علي حكمه الذي لا يرد اذن واحسست بالحاجة الملحة لأن اعترض واعترضت ببراءة فطرية سخيفة وأنا استند الى الماضي لقد وضعت نفسي ببلاهة في مكان المتهم ولم تدعي كلامي يتم قلتِ باستهزاء كبير البدء انبدأ وانتهى الامر البدء لا يظل بدءا ولا مرجعا صالحا الى الابد ابحث لك عن حجة اخرى القاضي مرة اخرى القاضي ومن اين لي بحجة اخرى أن لم تكن لي الا حياة واحدة ووحيدة تعرفينها كما تعرفين حياتك تماما الا ترين أننا نلعب ببساطة اللعبة القانونية السخيفة لعبة مقارعة الحجة بالحجة وأخيرا لا يقرر الصواب الا الطرف الأقوى لماذا تريدنني أن ابحث عن الحجج وأنتِ تعرفين أنه لا حجة لي في قبول ما لا يجب قبوله أليس هذا هو ما تفعله معنا السلطة اخضاعنا بحجة واذا اقتضى الامر دون حجة الا أنها تفضل دائما الحجة التي لا حجة لها حتى تحتفظ بتزييفها مغلفا بتزييف اكثر زيفا منه حتى لا تقول لنا بصراحة لا تحاولوا الخلاص ايها العبيد وأن كانت تفعل ذلك في الواقع فالكلام عندما يضاف الى الفعل يعطيه ابعادا اسطورية مثيرة تعلن تحققه التاريخي فورا وتلغي كل محاولة لتنفيذه و لتقييده واسقط في يدي وأنتِ كما تصورتك تقولين بحماس غير مبرر آنذاك تقولين لائمة ولكنك لا تريد أن تفهم أنني تغيرت وأنتهى الامر وفجأة بدت لي محاولة اندفاعي العنيد نحو ذلك الماضي من أجل اشياء كثيرة ليست اقلها أهمية الرغبة في فهمه وتحليله ونقده وتجاوزه ارتباطا اعمى بما يربطني هو بنفسه اصلا لقد بدت تلك الحجة ببساطة حجة لا حجة لها هي الأخرى لقد اختلفنا في كل شيء اذن وحتى في هذه النقطة بالذات وخطر لي أن افعل شيئا في الحال وانا في زخم الحركة والليل ولسبب غامض خطر لي في الوقت نفسه الا افعله واخذت السرعة تزداد من جديد ولفني العجاج الابيض الاصفر الحار وأنا أجوب الاراضي القاحلة الخالية شرق حوران شرقا من تل الندى الى النجدات والرحيل يلح علي الرحيل الرحيل الرحيل وكلما رحلت كانت تملئني رغبة في أن ابقي لماذا هذه الازدواجية الحقيرة المنفرة البائسة المنغصة المنكدة لماذا من

يحقنا بها دون علم منا أن لم تكن السلطة سلطة المكان وسلطة الزمان واحسست بك تقولين لم يعد لنا هدف واحد الا تريد أن تفهم ذلك لا لم اكن اريد أن افهم وهل بامكان من به حاجة لعدم الفهم أن يفهم كنت اريد أن اعود الى الوراء الى ما تسمينه انت التاريخ كانت فكرة العودة نفسها تتسلط علي وتكبل ذهني وقلبي وحواسي كنت احسب أنه بمجرد عودتي الى هناك سأرى بوضوح شديد كل ما حدث ولم أكن أعي بعد أن ما حدث لم يعد هناك لقد صار هنا وفي هذه النقطة بالذات ومع ذلك كنت اصر على العودة الى نقطة انسلابي الأولى وبدت لي ألعن خصائصك واردأها التأكيد على أنك تأخذين مني عنوة كل شيء حتى ماكنت اعطيه لك بطيبة خاطر وهو ما يدفع الان بي للرجوع الى مصدر الخلل والحصار وسأسخر هذه المرة قوتي كلها من أجل أن ارى بوضوح وسأحاول أن اعرف خصائص الأشياء التي شهدتني وشهدتها خصائص تاريخي الشخصي ومن ثم اقبله أو ارفضه أو كلتا الحالتين معا أو لا شيء منهما على الاطلاق ولكن قبل كل شيء أريد أن أعود أريد أن أعود أريد أن أعود كان يتملكني رعب مفاجيء رعب مخيف لم اعرف له طعما من قبل رعب افتقادي الحاد لنقطة استنادي القديمة افتقادي لك أنت واكثر ما كان يخيفني حالة النفور المتدرج التي كانت تتلبسك يوما بعد يوم حالة الحياد ثم الامتعاض ثم الرفض ثم التحدي ثم التعدي حالة الحد الواضح بين ماكنت تريدين وما لا تريدين ولكن كيف استويت بمثل هذه السرعة وأخذت ابعادك الصارمة هذه ولما يمض من الزمن سنوات وقبل أن استوعب أنا ذلك ولكن لماذا الماضي وأنت أمامي بكليتك قلت اترى كم أنت سخيف لا لم اكن سخيفا كنت لا أزال اتمتع بك وفقدت أنت المتعة بي كان تطورنا متباينا اذن وبالنسبة لي كانت المتعة بعد في اقصى نقاطها غموضا واثارة وكنت لهذا السبب بالذات لاأزال اعتبر الزمن برها لاديمومة ولم أكن ارضى بعد بأن تنتقلي من حالة الى حالة كنت اريد أن اثبتك في الصفة والخواص والمآل والمثال كنت في اعتى حالاتي رجعية وتخلفا اذن ومع ذلك يؤلمني الموضوع وهو ماأريد الان التخلص منه اقصد منك أنت بالذات هذه الجثة النائمة التي لا تثير في نفسي الا اعنف الانفعالات واقواها نفورا هذه البؤرة من التسلط والعنفوان لقد خسرتك اذن منذ أن اعتبرتك كذلك وما علي الان الا أن اخسر الباقي اخسر نفسي التي خسرتك فالانسان لا يصنع مرتين وهو لذلك عاجز تماما عن أن يصنع حياته مرتين فليتخلص مما لا يستطيع إعادة صنعه ولكن كيف ولكن كيف ولم يتغير نظام سباتك العميق بالرغم من أن الاوتوستراد انحرف انحرافات كثيرة وبالرغم من أن البحر كان يقبل الينا بكل ما يملك من السرعة والشوق وكنت بعد كل كلمة اتوقع الرد المناسب أو غير المناسب منك ولكن دون

جدوى لقد تأكدت هذه المرة من أنك كنت حقا بعيدة وربما لم تكوني قريبة ابدا ومن يدري فقد تكونين كائنا مختلفا أنت الاخرى كائنا ليس له من الكينونة الا اعتبار أنه كائن ومن له مثل هذه الخواص الاعتبارية الثقيلة والباهضة الاها الا السلطة الحاضرة في كل شأن ومكان لماذا لا تردين لماذا لماذا لكم اكره صمتك ولا مبالاتك واكرهك اكثر كلما تبينت كم ضحيت من أجلك من اجل الحفاظ على شيء لا يمكن الحفاظ عليه والتضحية أساس الكره ومصدر الحقد والنفور والا لماذا نثور لماذا نثور في كل مرة نشعر فيها أننا خدعنا وهل ثمة خدعة لا تستند في اصولها الى تضحية هذا ماريد أن افهمه الان وحسبتك تعلقين بسخرية مرة هذا ايضا صار داء لا دواء له وعندما التفت اليك كنت قد صمت من قبل وكان الظلام يحيط بك من جميع الجهات وعلى جنباتك يمر الضجيج المكتوم ضجيج ذلك الليل الاخر في اطراف الدنيا الغريبة الدنيا التي حسبت أنها ستكفيني يوما ما مؤونة اقتباسك والتباسك علي وصرت افرك اقدامي الساخنة في اعماق السيارة المسرعة نحو البحر ذلك البحر الذي لم يكن ليجيء بحر اللعنة والشؤم البحر الذي حضن أول مرة جسدي الهارب من بر الشام ذلك البر الغامض العجيب الذي اندخل شيئا فشيئا في خلاياك ودون أن ادفعها الى ذلك صارت السيارة تجنح بين طرفي الاوتوستراد وهي تهتز من السرعة المجنونة وبدا الليل كما لم يكن من قبل ابدا حافزا جديدا لاقتطاع جزء من الحياة العائبة والالقاء به في عرض الطريق ولست ادري كيف امتدت يدك وأنت في السبات الي وفهمت منها أنها تقول برجاء جسدي حار انتبه الدنيا ليل والدرب لا يزال طويلا وعلينا أن نصل البحر قبل الصباح ولكن من أنت حتى تدليني مرة اخرى على ما يجب علي أن افعله من أنت وهذه المرة كدت اخرج من الاوتوستراد يمينا وكادت الواقعة أن تقع ولم يكن ثمة محل للشماتة أو العجب نحيا أو نموت ومع ذلك خرجت نهائيا عن الطريق ودارت السيارة دورات متتابعة واستدارت الى الوراء ومنه الى الأمام ومن الأمام الى الأمام اكثر ولوهلة لامعة بدا كل ما يكوننا سهل التكسر والانقصاف وبدت الحدود واضحة سهلة الاختراق والانتهاك وما كان علي الا أن اخطو الخطوة الاولى الاخيرة الخطوة نفسها التي خطوتها أنا من قبل وخطوتها أنتِ بعدي ولكن بالاتجاه المعاكس وبعيدا عني هذه المرة وعلى هذا الاساس بنيت احساسي العدائي الشنيع نحوك امرأة تهجرني وتهجرني أنا ولاني أنا بالذات كما أنا وأنا الذي كنت اتصور أن أي شيء يمكن أن يحدث في هذا العالم الا هذا ومنك أنت وضدي أنا بالذات هكذا ترين أنني حميت نفسي من جميع الذين لن يعتدوا عليها وحصنتها ضد جيمع الذين لن يتعرضوا لها بالسوء وتركت العدو الاساسي العدو الخطير الكامن فيها واللاصق بها ليل ــ نهار المقيم معها عدوها اللدود الوحيد لانه هو

الوحيد الذي له علاقة يومية مباشرة حميمة اصيلة معها تركته ينفرد بها يأخذها على حين غرة وهي لا تملك حتى وسيلة للدفاع عنها فهو منها ومعها يعيش تركت نفسي اذن تأخذ نفسي على حين غرة تكسرها وتربح الحرب التي لا يمكن أن تربح لانها حرب خاسرة سلفا حرب ضد عدو لا نفكر بمقاومته قبل أن ينتصر انتصارا نهائيا علينا ومن علمنا هذا الانصياع العميق الاحمق أن لم تكن السلطة الاخلاق التي ترشدنا منذ نعومة اظفارنا الى عمل ما لا يجب عمله الى احتواء الاخر والاستبداد به واضطهاده اذا اقتضى الامر والسماح له بفعل كل شيء إلا ما يسمح له بالانفكاك والتحرر والتفتح والاستقلال والاستقلال هو الاستبدال كما صرت تعرفين تماما وهل تسمح السلطة باستبدالها حتى ولو بسلطة أخرى لا تختلف عنها الا بأنها متسلطة أكثر منها وليست القاعدة الاخلاقية العتيدة عامل الناس كما تحب أن يعاملوك الا دعوة صريحة اذن لتبادل خبرات القمع والقهر والاضطهاد بين الناس الناس الذين صنعتهم الحياة الشوهاء مشوهين كما صنعوها وتوقعت من جديد ردك الجديد على اقوالي القديمة الا أنك بقيت قابعة في مكانك ملتمة على بعضك بهدوء ولكن ماذا خطر لك حتى تلمسيني في ذلك الحين الهائج المجنون أن تغطسي يدك الصغيرة في اللحم حتى الرسغ وأن تعيديها اليك مذعورة مكسوة بالبياض تلك اليد التي حذرتك اكثر من مرة لا تمديها الي لا تمديها بتاتا فليس ليد لا تاريخية عندي من مكان والف مرة قلت لك أنني انتهكت تماما مسألة رد الجميل بجميل مثله والا كيف يمكن لي أن اتجاوز بنيتي السحيقة في القدم وفجأة احسست بجسدي كله يتحرك يكاد يلاقيك ينقض على جسدك كما من قبل الا أن حائلا لا مرئيا حال دون ذلك وبقيت مربوطا في مكاني بحزام الامان الاسود المتين الذي كان يكتفني بجدية لا سبيل الى الانفكاك منها كان الخطر الالي على الحياة هو الذي يسيطر على اللحظة ويمنع كل تمرد فيزيائي من التحقق والانتشار ولكن لم نخشى على الحياة من الحياة نفسها ولا نخشى عليها من الموت لم نهاب الاقدام حتى على فعل أعمق رغباتنا واكثرها صميمية ونستكين الى السكون الذي يحمينا من الحركة حتى ونحن نعرف أننا بسكوننا هذا خاسرون أليس ذلك هو التطبيق العملي الحقير لتعاليم السلطة اللئيمة في التأني السلامة وفي العجلة الندامة وهل يعني التأني غير السكون والعجلة الا الحركة العنيفة الحية الرائعة لماذا لا أنقضُّ عليك انقضاضي على الفريسة وأنهبك نهبا غزويا صاخبا ومثيرا للمتعة والانتقام يا بنت السلطة يا بنت السلطة ايتها اللئيمة المستكينة بخبث ورياء من علمك هذا الصمت التافه المنتظر المتصيد لأخطاء الاخر وزلاته الا أمك العتيدة ومن ايقظك في هذه اللحظة بالذات لتسألي وأنت بين اليقظة والمنام ألم نصل بعد وأين تريدينا أن نصل أن لم نكن قد وصلنا

من قبل وكالبرق لمع في ذهني الماضي السحيق كله وتبين لي أنني تحملتك طوال السنين وكالعادة رددت من نومك الخفيف ردك الذي كنت حسب تكوينك الطبقي القديم جديرة به تماما والذي كنت أتوقعه وأكاد أعرفه حتى حروفه والفاظه ومعانيه وبالفعل قلت ببلاهة وكأنك تقولين شيئا لم يسمع به احد ولكنني لا اجد نفسي مضطرة على تحملك لانك تحملتني من قبل ومن قال لك أن عليك أن تفعلي ذلك المسألة كانت ببساطة هي أنني كنت ارضى وربما بسرور أن اتحملك الا أنني لسبب غير واضح بعد لا ارضى اطلاقا أن اتحمل عدم تحملك لي تلك هي المشكلة وهي مشكلة كما ترين تبدأ مني وتنتهي بي ومن نومك الخفيف نفسه علقت بخفة غير مبررة فهمنا أنت دائما أنت ولم اجد في قولك الحديث ما يستحق الرد عليه كان الليل يؤتكل دون توقف وكنت احسُ بالصدمة والخذلان لقد بدا واضحا لي أن الكثير من أمور الحياة يتغير دون انتظار الاذن منا وانني اقمت طيلة حياتي الماضية بناء وهميا لحياة مصطنعة قائمة على وعي زائف وردىء بالحياة وعي اخذ يتكشف عن بؤسه وضحالته وعدم تحمله للصدمات وعي معطوب يدفع بي الان ايضا الى الاحتماء بمكونات الدفاع الذاتي الواهية والسخيفة هذه المكونات التي حشتني بها السلطة اصلا السلطة التعليمية والتهذيبية والتدريبية حشتني بها من أجل أن اجد نفسي اعزل حين احتاج الى السلاح بدلا من أن يدفع بي بجذرية عميقة الى تصفية حساباتي القديمة مع نفسي أولا ومن ثم معك أنت أنه وعي الاحتماء اذن لاوعي الارتقاء هذا هو الوعي الذي تريدينني أن اجابهك به وعي المحاججة والملاججة والقانون ولكن لا فإنا لم اعد في هذا المقام والا ما جدوى أن نعي الامور بشكل اكثر وعيا بها من قبل لا لم نعد نقف في نفس المكان ولم تعد حبال السلطة سلطة الوفاء قادرة على ربط احدنا بالاخر ولا على ايقافه عن النمو فمن اجل ماذا علينا أن نفعل كل هذا بعد الان أن نظل شكليا معا ونحن عمقيا بلا مكان لا لن نكرس مقولة السلطة العامة التعايش مع وضع لا نرضاه من أجل ترميمه في حين يجب علينا تهديمه فهذا التعايش السلبي الذي لا يضرنا الا نحن هو غاية ما تطمح اليه السلطة فهو الدليل الاساسي على حماقتنا غير المتناهية على انصياعنا الكامل لها على اننا لا نزال بشرا غير تاريخيين نعالج معالجة اخلاقية وضعا غير اخلاقي وكأنني سمعتك تقولين بتحد شديد ليس ذلك خطئي لا لم يكن ذلك خطأك وحدك كان خطأ عاما شاملا وبعيدا خطأ الجميع ولذا فهو خطأ قاتل ومميت خطأ تاريخي لا يرحم ولا يدع مجالا لاحد للخلاص من أحد الا أنني سأحاول المستحيل سيدي العقيد ساحاول المستحيل ودون عناء استدارت السيارة وهي في اقصى حالاتها سرعة يمينا قبل أن تستدير يسارا لاحقة بسواد الاوتوستراد الذي لم يكن لينتهي مقتربة هكذا اكثر فاكثر من البحر

البحر الذي لم يكن هو الاخر ليجيء وسمعتك تصرخين هذه المرة وكأنك تشقين فجوة في سباتك العميق عد بنا الى البيت فورا عد بنا الى البيت وضحكت أنا ضحكت كثيرا من هذه الدعوة الغريبة والالتحام الغريب بين أنت المتسلطة وأنا المتسلط ولا يجتمع متسلطان الا على ضلال لا لن اعود الى البيت ولن اعود الى أي مكان لقد مضى زمن العودة الى المرجع الى المصدر الى النبع وهل للعودة معنى آخر غير النكوص والارتداد لا صرت لا احب العودة الى قواعدي حتى ولو سالما وعلى العكس من ذلك صرت اسرع اكثر فاكثر كان الليل يستثير حساسيتي الخاصة يجعل مني ثورا هائجا وعنيدا الليل الذي كشف لي يوما بعد يوم بؤر التوتر والغليان والذي في سواده الحميم تفتحت عينا جسدي على عيون جسدك الغض الصغير والذي فيه تماما خطا هو الاخر أول خطواته الحيية الى الفجوة الليلية المعتمة الدافئة اللذيذة الليل اللذيذ الهائل محرر الاهواء الليلية المكبوتة الخائفة من اشكال السلطة جميعها سلطة الجسد وسلطة الاخرين بشتى اشكالها ومضامينها وفعالياتها هذا هو الليل يا بنت السلطة العائبة هذا هو الليل الليلي الذي ستموتين فيه كما ماتت هي من قبل ولا تزالين تحلمين بغباء بالعودة الى وراء لا فمنذ الان لم تعد العودة ممكنة الا الى الامام الا الى البحر البحر الذي وصلته منذ أول خطوة ليلية خطوتها نحوه هذا المساء وتريدينني أن اعود وتريدينني أن اعود ايتها السلطة المتسلطة يا بؤرة الحب الكاذب والاخلاق الكاذبة والحنان الكاذب والرغبة الكاذبة والشبق الكاذب والذكاء الكاذب والاهتمام الكاذب والزيف الكاذب حتى لا لن اتوقف قبل أن اصل البحر قبل الصباح لا يا بنت السلطة لقد مضى زمن التفاهم الكاذب الان فقد صار جسدي دليلي بعد أن تحررت من سلطة العقل الكاذب وطريق الجسد لا تقود الى ضلال لا لقد اخطأت وليس عيبا أن تخطئي فللخطأ دوره التاريخي كما للصواب ولكن العيب في رفضك القاطع لذلك فأنتِ تماما كالسلطة الأم أن لم تكوني دائما على حق فإنك لا تخطئين ابدا وتريدينني مع ذلك أن اعود لا لقد اخطأت أنا الاخر ولكنني لن اعود لان التمادي في الخطأ خير من الرجوع اليه فمنذ أن قبلت أن ابني معك وعينا الجديد بالأمور كان علي أن اتوقع هذا فالوعي لا يسكن ولا ينتهي ولكنه يتمزق وها نحن الان في نقطة التمزق التاريخي الصارم فلا تطلبي مني العودة بعد الان حتى ولا الى نفسي القديمة وبخاصة الى تلك الجثة الجائفة بالذات هذا يكفي أريد أن ادفع بي الي اقصى النقاط واشدها خطورة على الذات اريد تماما أن اصطدم بالجدار الذي لا يخترق أو الذي يظن هكذا فإن اصطدم به خير من اقف قبله بقليل اريد أن اعرف أن كان هو الاخر جدارا كاذبا مصنوعا من الخوف والوهم مهمته الاساسية كما حددتها له السلطة سلطة الكبح والصدود

هي قتل نوازع المتعة والمغامرة والاكتشاف لماذا تريدينني أن اخاف من شيء لا اعرفه ان اعود الى الأمان البائس القديم الى الرحم القانط العطيل وأدع العالم أمامي واسعا ومديدا أليس تلك هي بالتمام مهمتك أنت الاخرى كما تأملها منك السلطة سلطة الحب الكاذبّ البغيض الذي أكلنا معا واخذتني على حين غرة وانت تقولين متأففة في سباتك العميق صرت تردد علي ما كنت اردده عليك وبهدوء حاقد وقدير مددت يدي الطويلة الى المزلاج الصغير من ورائك اريد أن افتح لك الباب الازرق المستطيل أن ادفع بك وانت غارقة في السبات الى القاع ادحرجك على الاوتوستراد الاسود الطويل اجرك خلفي حتى البحر في ذلك الليل الاخير لقد انتهت هذا المساء مهلتك التاريخية وبدت الامور تأخذ مجراها الجديد وقبل أن تصيري خارجا انقضضت علي من سباتك المخيف آمرة بحدة وصرامة لا تفتح الباب لا تفتح الباب واختلط الصياح بالصياح ومرت الاضواء حمراء صفراء بيضاء لاهبة في عتامة الليل الاضواء المسرعة المخيفة مرت لصقي أنا أنا بالذات وأنا اتهيأ للخلاص وصرت تضربين نفسك بيديك المتشنجتين تريد أن تقتل نفسك تريد أن تموت هنا وفي هذا الليل وتدعني وحيدة مجنون مجنون مجنون تريد أن تموت مت كما تموت الكلاب ولكن عد بنا الى البيت ومت هناك ايها المعتوه الاخرق كنت اعرف أنك ستمنعينني حتى من هذا كنت اعرف خصائصك العنيدة المتسلطة وهأنتذي تؤكدينها بالفعل ولكن من قال لك أنني كنت اريد أن اموت كنت اريد ان ابول سيدي العقيد اريد أن ابول ان ابول وبإعياء شديد تطلعت الي دون أن تقولي شيئا لقد اختلطت الامور حقا وكأن شيئا لم يكن بدأت السرعة تأخذ مجراها القديم واحسست بانتباهي يتضاعف مرات ومرات فلربما كان صحيحا ما ادعيت وقايتي منه ولكن اليس تلك خدعة اخرى جديدة لاعادة الهارب الى ما هرب منه الى التربة الأولى التي نشأ منها ومنها مشى اليست تلك تماما هي مقولة السلطة السحرية التي لا هدف لها الا ربطنا الابدي بالمحيط الذي تديره هي كما تريد ولا يحق لنا الهرب منه حتى ولو هرب هو منا والا فما معنى الصمود الذي تحطه في رؤوسنا ونفوسنا ليل ــ نهار ان لم يكن صمودنا الذليل تحت وطأة قهرها لنا بعد أن تنتزع منا حتى حق الاعتراض وهذا ما لم يعد قبوله الان ممكنا لا حسب القواعد المتعارف عليها قواعد الرضوخ ولا حسب الاعراف والتقاليد ولا حسب العادة ولا حسب الاخلاق السيئة الحسنة ولا حسب أي شيء نعرفه من قبل أننا نفتقد الان كلانا كل معيار لقبول أي شيء كنا نقبل به من قبل الشيء الوحيد الذي يمكن الركون اليه مبدئيا هو الوجد والهوى والحذر الشديد منهما أوجب من الحذر من الاخرين الحذر الان نفسه يوجب الحذر فالاصدقاء القدامى اصدقاء الوعي القديم البليد راحوا ولم نكتسب

اصدقاء جددا ونحن انفسنا لم نعد اصدقاء وتريدينني أن اعود ولكن الى اين الى بؤرة القمع الأولى الى العش العائلي المليء بالافاعي والهوام الى فراش الزوجية التعيس ذلك الفراش الذي لا يملأه الا الضراط والفساء فراش الجنس الالي والاكل الالي والكلام الالي والعواطف الالية والارتكاس الالي فراش الحاكم والمحكوم فراش القمع الذي لاهم له الا أن يدوم لا لا لا لا لم تعد البراءة تعني السعادة البراءة نفسها لم تعد بريئة هذه البراءة المصطنعة التي ترسمينها خاشعة ضارعة على محياك الذي لم يعد بريئا ابدا ومع ذلك تطلعت اليك والرغبة تملأ نفسي في أن انسى كل شيء وأن اعود حنونا كما من قبل وأن تعودي أنت الاخرى كما كنت حنونة لطيفة عاشقة معشوقة الا أن الاوضاع لا تعود القهقرى ولا تعرف التراجع التراجع الوحيد الذي لا يزال قائما في التاريخ هو تراجع الانسان بالرغم منه أمام السلطة من أي نوع كانت ولأي هدف فعلت وباية وسيلة اقنعته وسلطتك ماتت الان وقضت نحبها في الظلام ظلام الليل الاخير هذا وفي هذه النقطة من محيط الارض الدائرية الحمراء لقد بنيت وهما اوهامك القديمة بنيتها على أوهام أشد منها ايغالا في الايهام وناديتني مرة بعد مرة يا حبيبي وأنا لا يربطني الا قضيبي ولم تنفع مفاهيم الاخلاص والتضحية والوفاء في اقناعي بالبقاء والا لم لا ارضخ ايضا للسلطة العامة والاعم وللمفاهيم المكبلة المثبطة نفسها ومن اين تراك اغترفت مفاهيمك المقيدة أن لم يكن من مخزنها المحشو بشتى انواع الانواع من الحبال والسلاسل والقيود والبنود والحدود والقيم والعقائد والافكار التي لا فكر فيها ولا تفكير ولا تفكير والتي مهمتها الوحيدة هي التذكير التذكير بالواجب والتذكير بحقها علينا والتذكير بالطاعة اللازمة لها والتذكير بالعقاب الصارم للخارم والتذكير بان لا مفر لنا منها والتذكير باننا اليها راجعون والتذكير بأنها تحيط بكل شيء علما والتذكير بأنها مثلك تماما لا تفوت صغيرة ولا كبيرة وأنها تطلب الانصياع من الاخر دون أن تعترف له بأنه حتى في انصياعه لها كان على حق فالحق لها حصرا ومن حقها هي فقط أن تقول عن نفسها أنها دوما على حق فهي وحدها صاحبة الحق في استعمال مقولة «الحق الالهي» الحقيرة التي تعطيها الحق المطلق في استعباد الآخر واستغلاله وقهره وكما تعلمين فالتواصل كان منذ البدء مباشرا و حميما بين السلطتين سلطة الغيب وسلطة الهيب هكذا ربما تقتنعين أن الطريق أمامنا بات مسدودا وأنه كان مسدودا منذ البدء وسيظل مسدودا الى الابد ولكن بيننا خصوصا والا فما معنى أن الحياة قصيرة وأن علينا أن ننقي حياتنا المليئة بالشوائب منها من هذه الشوائب التي تأكلها آنا بعد آن تلك الشوائب اللعينة المسمومة التي حطتها السلطتان تحت جلودنا البريئة عمدا وكأني اردت أن اختبر ما بقي لي من السلطة عليك تطلعت اليك من اسفل ومن اعلى ومن امام وتوقعت أن اراك تلتهبين بمجرد النظر اليك كما

كنت تلتهبين من قبل عندما كان الشبق يركبك بسهولة تعادل سهولة الارتماء في حضني منذ البصرة الأولى التي تحضك عليه وعبثا توقعت منك هذه المرة أن تتصرفي حسب قانون الشهوة القديمة فالشهوة نفسها تفتقد الشهوة احيانا كما تأكد لي هذا الان وبدا لي واضحا أن زمام جسدك القديم هو الاخر قد ملص من بين يدي وأنه لم يبق لي منك الا الوهم وهم الارتباط النفسي الواهي العاجز ابدا عن ان يربط جسدين بله نفسين متوترتين وأخذت اتساءل بعمق في جو الحركة التي ظلت تتنامى في ذلك الليل لماذا احاول أن اعيدك اليّ اذن ولا اريد أن اعود انا اليك لماذا ابذل كل ما في وسعي لتجديد ما اهترأ تاريخيا اكيدا من اين جاءتني هذه الحماقة العظيمة وكدت اصل ببلاهة الى لحظة الاعتراف السخيف بالخطإ ذلك الاعتراف الخائب الذي لن يكون له معنى الا معنى اضطهادي أنا لذاتي فوق اضطهادك اللئيم لي اضطهاد على اضطهاد هذا ما لم اعد اتحمله ابدا من اي احد جاء ولأي سبب فرض علي ومهما كان تبريره الخارجي ودوافعه الذاتية لقد تغيرت الامور وتحولت الاحوال وتبدل ماكان من الضروري له أن يتبدل لكي يبقى حيا ذلك ما حدث ببساطة لا لم اكن مخطئا ولم تكوني مخطئة انت الاخرى وليس الاعتراف بالخطإ الا رذيلة لانه يعني ببساطة ممارسة القمع الذاتي على الذات ولانه ايضا وهذا اخطر ما في هذا الاعتراف الحقير يعترف اصلا بمصدر الصواب الخارجي ومن يكون هذا المصدر الذي لا يخطيء ابدا أن يكن السلطة سلطة الحق المطلق والصواب المطلق سلطة الثقافة الاساسية ثقافة البلاد وعلى العكس من ذلك بدا لي أن ما علي أن افعله الان هو المواجهة الحاسمة والصريحة والجذرية لامعك أنت فحسب فهذا أضأل الافعال ولا مع المحيط الخارجي وحده فذلك يتضمن الخدعة التاريخية البغيضة الاصلاح اصلاح ما ليس قابلا للاصلاح ممن هو نفسه بحاجة ماسة الى اصلاح بل مع تاريخي الخاص اساسا مع افعالي العظيمة كلها بما فيها ما قد تعتبرينه أنت رذيلا أو قليل الشأن منها أن علي الان أن اكف تماما ومنذ هذه اللحظة عن أن آتي الامور من دبر أن الاحقها ملاحقة الهائب القرفان منها علي أن آتيها من قبل أن اراها بعيون مليئة بالضياء وبدلا من أن ادفن ما يسوؤني منها علي أن اكشفه للملأ أن افضح نفسي قبل أن افضحك أنت واحسست بك تهجمين علي كما كنت تفعلين من قبل تطرحين علي مقولاتك وافكارك بلا حياء أوعناء ولا يخالطك حتى الشك بأنها قد لا تكون صائبة ولو مرة واحدة في العمر وباللهجة القديمة نفسها صرت تكررين سمعنا ذلك كثيرا واكثر من مرة وكأني لم اكن انتظر الا هذا انفجرت أنا بحنق وصخب وانفعال وما يهمني أنا منك وماذا يهمني أن كنت أنت سمعت ذلك كثيرا أو قليلا ماذا يهمني طالما أنني أنا نفسي الذي اقول كل مرة لم استوعب حتى

الان ابعاده ولم اعثر على ما يلائمه من السلوك الا تريدين أن تفهمي أن مشكلتي الاساسية هي مع نفسي معي أنا بالذات ولكن لا يمكن لك أن تفهمي هذا وأنت لا تزالين تعتبرين نفسك مثل السلطة المركزية تماما مركز الكون الكون القريب والكون البعيد مركز كونك أنت وكون الاخر وهو بالضبط ما اسس انفصالنا وانشطارنا المخيف لا كفى لم يعد لذلك معنى لقد صرنا على حافة الهاوية ولم يعد التبرير يجدي انظري وقبل أن اتم كلامي احسست بك تصرخين محتجة لا اريد أن ارى شيئا لا اريد وازعجني انك قلتها بثقة من يملك مفاتيح شخصيتي كلها بين يديه ورأسا غزاني نوع من الهيبة والخيبة كان علي أن اعيد النظر منذ زمن طويل بعلاقتي بك وبنفسي الا أن ان تراكم الحياة حدثا بعد حدث لم يدع لي مجالا لتحقيق ذلك والان صرت اخاف أن افقد سيطرتي على نفسي كما فقدتها عليك من قبل وأنت تعرفين تماما كيف ندفع الى تلك الهاوية المخيفة دفعا من هنا ومن هناك وكلما فقدنا السيطرة على شيء صرنا مواطنين اخلص نفسا وانقى ذهنا واسهل قيادة وفي ضجيج غبائي القديم كنت اعتقد وهما أنني أنا الذي كنت اتخلى عنك ولم اكن اريد أن ابدو سيئا وهذه كانت بؤرة العطب الأولى لانها التعبير الأولي عن الانصياع التعبير السخيف عن قبول ما لا يمكن قبوله وأن تنافى هذا القبول والتحمل غير الارادي والمفروض علينا فرضا مع الارادة أو المتعة أو اللذة أو السرور والف مرة سألتني ولكن لم تظل متجهما لم تظل حزينا بائسا لم تظل مكسور القلب والخاطر لم لا تعرف كيف تفرح ولا كيف تضحك ولا كيف تنبسط ولا كيف تحكي ولا كيف تعبر عن عواطفك ولا كيف تتعامل مع الناس ولا كيف تتعامل معي أنا بالذات برغم هذه السنين الطويلة التي قضيتها لازقة بك ولا كيف تكره ولا كيف تحب ولا كيف تطأ لم أنت هكذا كتلة من الاحباط والفشل والانتكاس ولكن لم لم يخطر لك اطلاقا أن تذهبي الى ابعد من هذا أنت الاخرى اذن كنت كالسلطة الام تماما تحدين الفشل بالفاشل كما تحد هي حسب قانونها العتيد القتل بالقاتل وتريدين مني بعد ذلك أن ابدو لعينيك كائنا آخر وهل يناسب ذلك أولا مبادئك واخلاقك ومنطلقاتك النظرية وتصرفاتك العملية التي انبنت يوما بعد يوم على مثل هذه الاوهام البغيضة أوهام فشل الاخر ونجاح الذات وبتبجح شديد قلت ولكن الوهم لا ينشأ ابدا من وهم كان ذلك حقا ولكني الان صار لي رأي آخر بالموضوع رأي يختلف تماما عن الرأي السائد رأي القائد والمقود وصرت ببساطة احب فشلي كما كنت اخشاه من قبل وقد تأكد لي الان أنك انت التي كنت تهملينني ويوما بعد يوم كان اهمالك لي يزداد اهمالا وكنت اعتقد العكس والعكس ليس دائما هو الصحيح وحتى هذه اللحظة احسب واهما ايضا أنه يكفي أن ازعل منك حتى ادير لك ظهري وابتعد عنك وابدأ

دونك حياتي من جديد الا أن الورطة أوخم من ذلك بكثير وكنت حتى هذا الحين أحاكم الامور بعقل السلطة المزروع في رأسي العقل الموهم لا الواهم كما صرت اعرف الان العقل المبسط والمثبطّ ومنذ أن بدأتُ أزِن الامور بميزاني الخاص صرت ادرك تماما انني اذا ما اردت أن ابدأ من جديد حقا فليس لي مفر من استعمال مكونات حياتي القديمة المكونات الثقيلة نفسها التي سئمت منها ومن جديد ستكونين هكذا ركنا اساسيا في الحياة الجديدة التي انشئت اصلا لتكون نقيضا جذريا للحياة القديمة التي امتلاءت هي الاخرى بك اليس الخلاص ممكنا اذن صرت اشك حتى بهذا وبدت مقولة الخلاص نفسها امرا يستحيل الخلاص منه وكأنني رأيتك في غلالة سباتك النكد تبتسمين هازئة وانت تقولين عقدت المسألة كثيرا وهي أبسط من ذلك بكثير در ظهرك وامش هذا كل ما في الأمر أدير ظهري وأمشي هذا كل ما في الأمر تعجبت من بساطة الكلمات وفجأة لمع شيء في رأسي ولم لا يكون ذلك صحيحا إلا أن ذلك لم يكن صحيحا أبدا فجسدي الثقيل لم يكن اداة استعملها كما اشاء ومتى اشاء كانت حركة مبهمة تتنامى في اعماقي ولم اقل لك عن ذلك شيئا صرت غريبة عني منذ أن صرت لنفسك وهو اغرب ما في الامر لانني كنت ادعوك دعوة الى الوصول الى تلك النقطة الحاسمة في الحياة فمنها فقط يمكن لنا أن نجابه السلطة والمتسلطين الصغار والكبار ومنها فقط استعطت أنت أن تردعيني وأن تقاومي استفزازاتي المتكاثرة ومحاولات توسدي لك وتوسعي فيك ولانني كنت مثاليا اقصد كما تعرفين مثاليا في تشربي لتربية السلطة الحقيرة كنت اريد لك أن تحوزي وعيا جذريا على الا تستعمليه ضدي ضدي انا بالذات كنت اريد أن احسنك اذن لكي استخدمك لحسابي ولم اكن اتوقع أن الوعي الجذري يجب ما قبله ويودي احيانا حتى بصاحبه والان يبدو لي مدى الضحالة التي اتصف بها ذلك الحس المشؤوم حس الحاجة المستمرة الى وسيط لتحقيق حتى اكثر الاشياء حميمة والتصاقا بالذات ولكن اليس ذلك هو بالضبط ما تريده منا السلطة السلطة الوسيطة وهل للسلطة من مكان أو عمل أو كيان أن لم تكن وسيطا لا وسيطا بين الانسان والانسان ولا بين الانسان وربه فحسب بل حتى بين الانسان واعضائه والا فمن غرس في نفوسنا ذلك الشوق المكتوم والآسر الى الوسيط الذي تمكن منا لدرجة اننا صرنا نطرحه حتى في مسألة الثورة على الوسيط ودون سبب واضح للعيان كرهت اعضائي كرها لا يحد وفجأة بدأت اضرب بها عرض الفضاء وأنا اسب ومن غميض عينيك الذي لم ينقطع رأيت العجب ينصل علي انصلالا وانت تبربرين ماذا دهاك ماذا دهاك كنت ارتج ارتجاجا في ذلك الليل البهيم وزاد في ارتجاجي الجسدي المتوتر ارتجاجات السيارة العابرة في الظلام ولا بد أن الخوف المخيف هو الذي

دفعك الى أن تقومي بحركة لطيفة حركة شديدة اللطافة وأنت في السبات وكنت لا أزال اردد بحماقة علي أن اهرب علي أن اهرب من جديد ودون مواربة أو مراعاة قلت لم تنضج بعد الارتكاس العنيف نفسه والمواجهة المشبوهة الواهية نفسها والهزيمة المحتومة نفسها والاضطراب الهمجي نفسه لا شك أنك الابن المثالي للسلطة التي تريد أن تتسلط عليها بدلا من أن تخالفها وبضجة مخيفة صرخت فيك وأنت لا تعين ولكنني لا اريد أن اهرب اريد أن .. وبهدوء قاتل وشماتة لئيمة قلت تهرب اهرب ولكن عليك أن تحدد امرين تهرب ممن وتهرب الى اين نقطة فجأة احسست بالصمت يصبح ذا معنى وشعرت انني اشبع حكيا لم يعد ثمة فرق بيننا اذن لقد اجبت الجواب الذي كنت افكر فيه تعانين من المشكلة نفسها اذن وبدلا من أن ارتاح قليلا على الطريق وجدت نفسي ازيد السرعة سرعة اريد أن اصل البحر قبل الصباح وخيل الي أنني سأرتاح بمجرد أن ارى سطح الماء الازرق الذي يمتد شرقا حتى الشام وأن كربي سيذوب في الماء منذ أن يلامس الماء جلدي وملأني الفرح من جديد الفرح الذي لم اعد اعرفه منذ سنين فرح الماء البارد الطازج الاتي من بعيد الماء الذي اعرفه جيدا دون أن اعرف منه ماء بالدقة والتحديد ولوهلة احسست بذلك الانشراح القديم انشراح الشبع المفاجيء بعد جوع طويل يوم كنت اخيرا استطيع أن اشتري رغيفين من الخبز الشامي المدور الحار وصحنا من الحمص المغطي بالزيت وحوله بعض اجزاء البندورة الطازجة وحزّان من الفجل الاحمر اللذيذ ركبني فجأة ذلك الانشراح الخفي العميق وأنا اتخيل أنني استطيع ربما أن اكسر قيدا مزمنا في الحال أن انهي علاقتي بك مرة والى الابد وأن أنهي بذلك علائقي القديمة جميعها كيف توصلت الى هذه النقطة فجأة ومن أين ولد ذلك الأمل العظيم لا ادري ولكن ما بدا لي مروعا هو تحول استعمالك المستجد فبعد أن كنت نقطة ارتكازي الاساسية قبلا صار تحطيمك الكلي الان نقطة انطلاقي الجديدة هكذا ترين أنه ليس للحياة اتجاه وحيد ومحدد أنها مثل الحركة تماما يمكن أن تتم في مختلف الاتجاهات ولأول مرة خطر لي أن الانفصال فعل خطير مثل الاتصال تماما وأننا كثيرا ما نصير ضدا للاخر بعد أن كنا معه عقدا وفي خضم الحركة الليلية السوداء سمعتك تتأففين شاطر بالحكي بس ولفت الحركة المتسارعة باتجاه البحر اللاطيء جنوبا العنفوان المفاجيء الذي ملأ صدري وهدأت فعلا من توتري وانفعالي واحسست بشكل غامض ومثير أن للحياة الراهنة الدارجة في ذلك الليل فوق الاوتوستراد الاسود الطويل طعما آخر طعما لم اذقه من قبل ولم ار له لونا وباستهزاء مخيف قلت قولا صامتا احسست به يندلق من خلاياك كلها ويسيل لاصقا علي لم تتغير منذ عرفتك وأنت تجابه الاوهام نفسها وتعجبت أنا من الأوهام التي أجابهها وسألتك بامتعاض وأنت الا

تواجهين شيئا وضحكت في سباتك العنيف وأنت تتبهورين لا أنا لا أواجه احدا حتى ولا نفسي واستمعت بانتباه شديد اليك وأنا لا ادري ماذا اقول كنت احسني آنذاك قادرا على ارتكاب اخطار جسيمة على إلحاق الأذى بأي شيء على تدمير بؤرة الحركة التي كنا نتجاور فيها هذا كل ما كنت استطيع أن افعله ولوهلة بدا العالم الذي اقنعت نفسي يوما بعد يوم بأنني كنت اجابهه عالما مصطنعا موهوما متخيلا لا يستحق حتى البصاق عليه وشعرت أنني كنت احيط نفسي بدروع مصنوعة من لاشيء واحميها ممن لا ينوون مهاجمتها ابدا لان الذين يريدونها كانوا قد احتلوها من قبل وأنه ليس للحماية من معنى بعد الان وان المعنى التاريخي الوحيد يكمن في التفجير تفجير البؤرة العفنة بما فيها وبمن فيها دون تردد أو خشية أو حساب ولكن كيف وكدت اضحك اضحك عاليا من تشوشي وقلقي واضطرابي حتى بعد أن آمنت بالحل وبعد أن عرفت ماهيته وطريقة تنفيذه وبدا لي أن التعاليم الخفية المزمنة لها فعل أكيد حتى على اعتى الناس إرادة وتصميما وهو ما يحث السلطة الاخلاقية المهيمنة على الايغال بعيدا في تربيتنا على الصبر والتمعن والاحتمال وحتى تعليمنا الانتقال من حال الى حال بحجة التجريب والاختبار واحيانا كثيرة الابتكار ابتكار طرق لا تعن لنا على بال من أجل ان تختبر ميدانيا قوة حقدنا ومخيلاتنا المضادة لها والرامية الى تهديمها والغائها واكتسبنا هكذا طاقة التمعن البليد حتى في احوالنا الشخصية التي نعايشها منذ أن نسقط على القاع خوفا من الخطأ الذي لن نقع فيه ابدا لانها ترفض حتى أن يخطيء ابناؤها ورعاياها تماما كما ترفضين حتى الايحاء لي بأنني اخطأت منذ أول مرة قبلت أن اتحملك فيها وعلى العكس تحاولين يوما بعد يوم اقناعي بأن العمل الرائع الوحيد الذي فعلته في حياتي كان هو بالضبط ذلك التحمل حتى ولو بدا لي أنه كان ضد رغبتي أليس تلك هي بالتمام والكمال اطروحة السلطة لتسهيل خضوع رعاياها المستمر وتبرير وجوب عقابهم الصارم أن هم حاولوا التمرد على ذلك أو شقوا عصا الطاعة الطاعة عصا أذن هذا كل ما في الأمر لكن اذا كانت الطاعة واحدة فالعصا كثير عصا سحرية وعصا اخلاقية وعصا دينية وعصا عقائدية وعصا كتلوية وعصا ثقافية وعصا تراثية وعصا.. وعصا.. واخيرا عصا عصوية حدان قاطعان اذن لا مجال للخلط بينهما لقد آن لنا أن نختار بين التمرد والخضوع وأخذني كلامك على حين غرة وقد كنت احسبك تنامين أليس عندك شيء آخر صار لزاما علي أن اصمت بعد الان فليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال مهما وليس كل مهم نافع صرت اخاف منك حقا خوفي القديم من سيدي العقيد الذي انعقد الان عليك وصارت حتى سيماؤك توحي بذلك وتخبر به صرت تحبين التقاط زلاتي وتتبع عثراتي الكثيرة ولم يعد يشفي غليلك الا الهنات الكبيرة التي كانت

ترتمي مني بين الحين والاخر وكالسلطة الخفية كنت تخفينها الى حين اللزوم وبمهارة نفسية مخيفة تستخرجينها شيئا فشيئا وتعرضينها امامي بازدراء لاقناعي بضآلتي وتفاهة شأني وللتدليل على الاغلاط الصغيرة كما تسمينها تصوري حتى اغلاطي تصغرينها عمدا تلك الأغلاط التي ارتكبتها بحماقة وكان جديرا بي ألا أكون أحمق وكأن الحماقة اختيار شخصي خاص وكأننا لم نرضعها من ثدي السلطة المحمقة عمدا وهل ثمة حماقة ملقوحة في الفضاء من اين تجيئنا الحماقة إن لم ترمنا بها السلطة أنا بعد آن فما هي الحماقة أن لم تكن اللباقة التي قيدتني اليك تلك الأعوام الطويلة الذليلة اعوام القبول بالامر الواقع والرضاء به تصوري حتى أنت انحسبت علي امرا واقعا فكيف الشيء الاخر المريع واعذريني فأنا لا اريد هذه المرة تسميته لقد سئمت الفاظه وحروفه وما يحيط به وما يشبهه وما يضده وما يماثله وما يقاربه وما ينآه ولم تعد بي رغبة ابدا للبحث كما كنت افعل من قبل عن اسباب ما تغير خارج ذاتي فما يتغير لا تكمن اسبابه الا في الداخل اساسا هكذا ترين أن مقولة العجز عن الادراك ادراك العاجز لم تعد صالحة بأي شكل من الاشكال ولم تكن الا تبريرا صغيرا لما هو اعظم منها واجل للعجز التاريخي الذي زينته لنا السلطة كيلا نظن أننا عاجزون وكأني سمعتك تقولين محتجة كم مرة قلت لي هذا ولم اشأ أن اقول لك ليس المهم عدد المرات كان الليل يستعيدني من جديد واحسست بي املاؤه بتوتراتي وانفاسي وخيباتي واحلامي واوهامي وبصبر وشغف اخذت اتأمل في ذلك التاريخ الطويل المعقد وتساؤل مخيف يستولي علي لماذا تجيء الاشياء كلها دفعة واحدة أو لا تجيء على الأطلاق ومن افلت عقالها في ذلك الليل الاسود الكئيب وطلب منها الا تحل عني قبل أن اصل البحر قبل الصباح ومن اين جاءني ذلك الغموض البائس الذي قيدني حسا وحركة وتعابير وعواطف وتصرفات وسلوكا وكل شيء ومن غير السلطة المعلمة العالمة بكل شيء غرس في نفسي عادة الانتظار انتظار نهايات الامور قبل أن اتخذ قرارات دون قرار لان ما تعالجه اصلا لم يعد في الحياة لقد انسد الجو من حولي تماما ولم يعد أمامي الا الاقتحام وخلط الحابل بالنابل على السواء وعمدا ومن دون تقصير أو تبرير أو تذكر أو تذكير وأنت التي تقولين كل شيء واضح وليس بين يدي الا التهيب والغموض ماذا بقي اذن غير أن اندفع كالثور الهائج أن احطم ما يحيط بي تحطيما ابديا فإذا كان التهور قاتلا فإن التخاذل كما صرت ادرك الان اقتل ولست ادري كيف حانت مني التفاتة عجلى في جو الحرك السريعة والظلام الكثيف نحوك وكنت كالحبلى تنلقحين في مقعدك الواطىء انلقاحا شديدا وتمدين ببطء وارتخاء ساقيك الناعمتين وتفرجين دون عمد بعض اعضائك وبإعياء كامل ترتكين هنا وترتكين هناك واصابني منك بعض اللمس الذي لم اكن انتظره آنذاك وبدا لي أنني

من جديد ارى عينيه الواسعتين تشقان جلد بطنك الرقيق تتطلعان الي قبل أن اقذف بك وبي في غياهب الليل والعزلة الابدية والعذاب وبلمح البصر استعدت عيني منك ولاحقت بانتباه شديد خيوط الضوء المنطلقة دوما الى الأمام وهيكل السيارة الثقيل يلاحق مساراتها ودروبها المتداخلة فوق الاوتوستراد شيء واحد بقي لي وربما لك أيضا وهو أن نصل البحر قبل الصباح قبل أن تشرق الشمس القديمة علينا من جديد كان نوع من الاشمئزاز من الذات يركبني بعد أن بدا لي واضحا المقدار الهائل من الخبث وسوء النية اللذين استعمراني طويلا وكنت بحاجة ماسة الى البراءة والصراحة ولكن من أحلهما محلهما وراح وأنا لا ادري ولم كنت بحاجة الى هذا القدر من الوقت حتى ارى نفسي نفسها بعيون جديدة أليس ذلك مخيفا وبدلا من أن تقولي شيئا انزلقت بهدوء في المقعد وادرت ظهرك لي صرت ادرك الان أن لكل منا تركيبه الخاص وأن السلطة رغم تسلطها الواحد والموحد لا تنتج أناسا متشابهين تماما واذن كان عبثا منذ البدء المحاولة المستمرة في جعل التطابق بيننا ممكنا كان الخناق يضيق علي شيئا فشيئا ولم يعد أمامي الا أحد أمرين الموت أو الانتصار الموت أما الانتصار فعلى من وبأية وسيلة وفي أي اتجاه ورأيتك تتكومين بحنق واكتئاب ونزق وكأنك تريدينني أن اسد فمي الى الابد وبدا رفضك لي هذه المرة رفضا واعيا وعميقا وغير قابل للرد ولا للارتداد وحاولت بخبث سخيف أن اعيدك قليلا الى الوراء الا أنني احسست بك تنهريننى الان عليك أن تصنع الحاضر الماضي صنع من قبل وصفعني الكلام الصامت صفعا ليست السلطة الغبية أنت وحدك فحسب يمكن أن تكون انا ايضا وآلمني ذلك بشدة اصنع ذلك الان ولكن صنعه يتطلب ايمانا جديدا بحياة جديدة وعالم جديد ولأول مرة خطر لي أن محاولة تغلبي عليك لا معنى لها لانها لن تكون الا ربطا جديدا لي بك اضافة الى أنها لن تستطيع ابدا رد السياق الى بدئه ولست ادري كيف تجسد لي في ذلك الليل الاخير اضطهادك الهائل لي ونحن لا نزال على الاوتوستراد الذي لم يكن لينتهي ودون ارادة امتدت يدي خلسة من ورائك كما امتدت منذ قليل لتدفع بالمزلاج الصغير الى اقصى اليسار كنت لا تزالين ملقوحة في المقعد الازرق الواطيء ساندة رأسك المنهك وراء وعيناك غارقتان في السواد كانت الريح قد بدأت تتبدل وهذه المرة كانت تأتي رأسا من البحر طازجة مثقلة بالرعش والرطوبة والماء وتنشقتها بشوق الظاميء والوهان اخيرا ريح البحر القريب من البحر الذي جاء من بعيد بحر الشرق وبحر الغرب والتفت اليك ابحث عن اثر هفهفات الريح على وجهك النائم الكسير وتأكد لي عدم وجودك معي هذه المرة ايضا لقد كنت في حالة العطالة الكاملة حالة النوم الهوسى العميق حالة الاعياء المعمم اعياء الحياة المتسلطة والمتسلط عليها تلك الحياة الموتورة المأزومة التي لم يكن لها أن

تعطيك الا هذا الاعياء المجسم والمتجسد في الأعضاء جميعها اعياء الحاجة الى كل شيء الحاجة الى الحب والحاجة الى الحرية والحاجة الى الجنس الحر والمتحرر من الاعباء والقيود والحاجة الى الا تكوني بحاجة الى احد وبخاصة الي أنا وفجأة تبدل حقدي عليك حنانا وكدت استمحيك العذر الا إن رفضي القاطع لكل نقد ذاتي حال دون ذلك وحثني اكثر فاكثر على أن افهم الأمور بشكل جديد ولم أعد اسمح لنفسي أن اعود القهقري لا اخلاقيا ولا سلوكيا ولا جنسيا حتى وكأنك أنت الاخرى احسست اخيرا بتلك الريح الهائلة القادمة من هناك تلك الريح المجنونة الهاجمة المحملة بالسموم وغيوم الشام تركض أمامها بانخطاف رأيت صدرك ينتفخ قليلا ينتفخ اكثر ثم ينتفخ اكثر فأكثر فأكثر وصار انفك الهامد يفتح ابوابه لها باتساع وتململت في باطن الفخذ المليء عضلاتك الهاجعة منذ المساء ورأيت ذراعيك تجيئان الى الصدر معا وتشتبكان ويقترب الساق من الساق ويصير الجذع كتلة من الحرارة والحياة ودون ارادة مني احسست بذراعي تلتف حولك ومنذ أن أحسست باللمسة قفزت مرعوبة وأنت تتساءلين بذعر واهتمام ماذا تفعل ماذا تريد أن تفعل وفورا انسحبت من فضائك وأنا اردد لا شيء لا شيء ودون فاصل صرت الاحق حزم الضوء الابيض الاصفر التي كانت تنير ظهر الاوتوستراد الذي كان يقودنا الى البحر البحر الذي كان علينا أن نصله قبل الصباح وابتسمت لأول مرة بصمت وهدوء منذ أن ركبت الطريق وأمل غامض يولد في نفسي واحشائي بعد أن بدا لي أن ما حدث من أوله الى آخره لم تكن له من غاية الا دفعي وتحريضي على القيام بذلك الفعل الغامض ذلك الشيء الذي لا يشبه الاشياء الاخرى ذلك الهوى الذي لم يفعل من قبل ولم يفعله احد بعد وكأنك تسللت سرا الى اجوائي الدفينة واردت من كل قلبك أن تغسلي حقدي المتراكم عليك وحقدك المتنامي علي قلت ضاحكة مالك دوا غير الحب ولاول مرة احسست بك بمثل هذا الوضوح قابلة للكسر والتحطيم ولم يكن علي الا أن امسك بك بين الخنصر والبنصر واقضمك قضما وفي الوقت نفسه احسست انني لم اكن اقل قابلية منك لذلك كان يتسرب الى اعماقي نوع من تأنيب الضمير القديم نوع من تقريع الذات الاحمق الذي ظل الشاهد الوحيد على ارتباطي الجواني باخلاق السلطة ومكوناتها التي لا ترى بالعين وبعد ذلك الانفراج العابر والفرح الطيار الذي مر بنا كالبرق صرت ازداد كآبة لحظة بعد لحظة وكما اقترب البحر اكثر ازداد توتري وهياجي وتجسد لي بشكل أوضح الفشل العنيف الذي عانيته يوما بعد يوم فشل المحافظة عليك والاحتفاظ بنفسي ومثل نوبات الحمى الهمجية كانت نوبات التوتر والامتعاض تركبني الواحدة بعد الاخرى تتلوها دون فواصل أو حدود نوبات خبيثة من الحقد والسخط والكره والرغبة في تدمير كل شيء

بما فيه أنت وأنا وبدت الرحلة خطرا محققا واكيدا فبعد أن قطعنا تلك المسافة وذلك الزمن صار مقدرا على أحدنا أن يأكل الاخر كما أكلته السلطة الشرهة من قبل وكان علي أن أدافع عن نفسي حتى الحياة وأن أتخلى بشكل جذري عن محاولة اصلاح مالا يمكن إصلاحه ووجدت الفرصة سانحة فقلت هذا هو أنت تماما تنقلب من حال الى حال بسهولة ويسر وكأن ذلك مسألة وضعية لا أكثر ولا أقل لم كنت تحاول اذن منذ المساء إقناعي بما لم تعد مقتنعا به أنت وتطلعت اليك خطفا اردت أن ارى عينيك العجيبتين ولم أر منك الا الانكفاء ومع ذلك صححت الكلام الصحيح اصلا لا لم اعد مقتنعا به لم اعد لم اعد كنت ولم اعد وكدت الحمش لحمك العاري وأنا اسألك بالحالح هل تفهمين علي هل تستطيعين أن تشرحي لي كيف صرت قوة تحرير لي كيف صرت تدفعينني دفعا الى ارتكاب ما لا يجوز ارتكابه حكما وعرفا وتهذيبا وتدريبا كيف صرت بسببك اقوم رغم ارادتي باعمال ضد ارادتي نفسها تلك الارادة البليدة المبنية بترتيب وانتظام الارادة المقننة المقولبة المعيرة تعييرا دقيقا على لوائح الاخلاق اخلاق العبيد التي لا تشذ عن القاعدة ولا تحيد عن الخط ارادة الادارة المدارة بدقة واحكام واذن ايكون التاريخ نفسه قد اخطأ منذ البدء عندما سلطني عليك عندما سلط احدنا على الاخر بالاحرى وكأنك صرت قوية فجأة انتفضت في سباتك اللعين ذلك السبات الاوتوسترادى الاسود العجيب وأنت تقولين لا تميع الموضوع لا تميعه بعد الان وارتجفت انا احتجاجا أنا الاخر اقوم بالأعيب السلطة الحقيرة ارى الحق وأحيد عنه ولم امتلك بعد الشجاعة الذاتية الكبيرة التي تسمح لي بمواجعة الذات لا بمواجهتها فحسب وبهدؤ وتصميم قلت تماما أنت الاخر كذلك واضفت بحقد شديد مع الاسف كنت اعتقدك غير ذلك وهجمت عليك وأنت غارقة في السبات تعتقدينني وما شأني باعتقادك أليست تلك هي تماما اطروحة السلطة المروضة لرعاياها عندما تحط في اذهانهم انهم هم بطبعهم كذا وكذا وما هو طبعهم إن لم يكن هو ما طبعتهم هي به وأخذت الرجفة تركبني من جديد ولم يكن اشباع توتري ممكنا الا بالهجوم عليك ولم يكن ذلك الهجوم دفاعا عن النفس بقدر ما كان محاولة اخيرة لارغامك على الخضوع لأعادتك الى الحظيرة التي انفلت منها الى حضني الذي خلا فجأة منك ودافعت عن نفسك بشجاعة اذهلتني واعجبتني معا ولم اكن اتوقع أنني استطعت أن اؤثر فيك الى هذا الحد الى حد دفعك الى التمرد الحقيقي في حياتك اليومية التمرد على الرجل الذي اشتهاك والذي حضنك والذي سواك على صورته والذي رعاك والذي أخيرا احبك ذلك الرجل الذي لم يكن الا أنا أنا الذي لم استطع حتى التورط في التمرد عليك بله التمرد في حياتي اليومية الثقيلة الظل والتي لا يتحملها حتى الحمار المدرب على التحمل وكان كل ما حاولت فعله

هو اقناع ذاتي بالتمرد الوهمي على حياة وهمية لا تضر ولا تنفع حياة الحب الوهمي والامثولات الوهمية والعالم الوهمي الذي قمت بترتيبه وتبويبه على قد تمردي الوهمي والان فقط فوق هذا الاوتوستراد اللعين أوتوستراد الاكتشافات المذهلة اكتشفت اخيرا انني لم اكن احبك وانما كنت احب تسلطي عليك وانني مثل ابناء السلطة جميعا قمت باقناع نفسي بما يلائم دونيتها وانحطاطها وما لا يسيء في الوقت نفسه الى احد وبخاصة الى السلطة الأساسية سلطة العلم والخلق والعرف والتقويد والتقليد وجعلتني بمقاومتك العنيفة الواعية ودفاعك المستميت كما علمتك أنا نفسي عن حقك في التحرر والانفلات وتحسين الذات احتقر احتقارا شديدا قوتي الغاشمة التي سخرتها مثل الحيوان الهائج لاعادتك الى «وضع المرأة الطبيعي» ومن طبع هذا الوضع غير السلطة الحقيرة سلطة الذكر السخيف وكيف سمحت لنفسي باستغلالها باستغلال تلك القوة المتخلفة التي تجاوزتها الحياة والواقع والتاريخ لأزيد استغلالي لك استغلالا ولم لم تفجي رأسي هذا الرأس اليابس والمليء بالاطروحات الحقيرة اطروحات شتى انواع السلطة التي لا تخدم غير الذكر المعيل ومن حط رزق المرأة في رقبة الرجل أن لم تكن السلطة سلطة التحليل والتحريم تحليل العمل للرجل وتحليل الخروج والفروج للرجل وتحليل الاعالة للرجل وتحليل تبديل المرأة وتذليلها للرجل وبعد ذلك تحريم ما لا يحل لها عليها ولا يحل لها الا أن تكون حليلة الرجل وبالطبع كل ما لا يحل لها يحل للرجل ولم يكن ذلك سهلا عليك ومع ذلك صرت تقاومينه وفرحت أنا بذلك ولكنك تجاوزت الحد كل حد وأنت تصرخين في وجهي التحرر لا يمنح ولكن يصنع وهل قلت أنا العكس قلت لا ولكن هذا يزعجك يزعجك كثيرا كما ترى والا لم تحاول أن تقنعني بأنك أنت الذي صنعت تحرري وهل يصنع المستغل تحرر المستغل ودون انذار شعرت بالغثيان يملأ احشائي يصعد من بطني الى الدماغ يكاد يشلني عن الحركة والمسير وكدت افلت نهائيا المقود المستدير وأدع السيارة تسير على هواها ولا بد أنك لاحظت ذلك فورا فأنا لا أزال من أولئك البشر الذين احسن تدريبهم على أن يبدوا دائما نقيين ممتازين ومتفوقين في حياتهم وحياتهم تعني علاقاتهم الخارجية حتى ولو كانت سطحية وسخيفة وبغيضة وفي الوقت الذي هممت فيه أن اتدخل فعلا في السياق تدخلا مأساويا حاسما أنهي به لا الضال العائل فحسب بل الشاهد ايضا مرَّ في رأسي الشريط الملعون شريط الهروب المزمن والحقير وانقلبت الاية فورا ودون ضجيج وقررت بصمت أن اصل البحر قبل الصباح قررت ذلك بشكل ملفت للنظر وعنيد فلم اعد اجد سببا كافيا لكي ارضخ لمكوناتي التعيسة التي لم تكن الا تنويعات على مكونات السلطة التي رفضتها جملة وتفصيلا سلطتك انت وسلطة الحب وسلطة الاخلاق وسلطة القانون والسلط الاخرى

وفجأة خطفتني الفكرة اللامعة فكرة أنني أقودك من جديد الى البحر البحر الابيض الازرق الاصفر المهيب بحر الارض المكورة المستطيلة المربعة أرض الشام القديمة حيث على السطح المائي المنفرش كمائع الرصاص تنتفش الاعشاب البرية الربيعية الجميلة تلك الاعشاب التي انضجعنا في حناياها ذلك الربيع والتي بين كثافتها المثيرة فركت بعض اجزائك المحمية فركا لذيذا وعرفت يومها أهم خصائص الحياة وامتعها اللذة الحسية التي تنبثق كالنوافير من جميع انحاء الجسد دون ان نستطيع تحديد مصدرها بالدقة والتعيين ووجدت نفسي اتشبث كالعلق بك وبالمقود الاسود الحساس وبدقة متناهية صرت الاحق حزم الضوء الابيض المنطلقة باستمرار الى الامام الى البحر وكأنما افشلت خطتي الجديدة خطتك القديمة رأيت اليك لمحا ولمحا رأيت السم ينقط من انفك ومن شفاهك ومن حلمتيك ومن شقوق جسدك الكثيرة ومع ذلك بقيت صامتة صامدة تحطين نفسك بلا مبالاة في الفراغ المحيط بي وتحدقين باصرار الى الامام الى البحر الذي استولى عليك أنت الاخرى الوصول اليه واحسست فجأة بنوع من الخيبة العميقة ازاء سكونك القاتل والمستكين لقد نقلت موتي اليك اذن وخالطتني الرغبة من جديد في أن اعيدك الى الحياة أن احرك اعماقك التي تلوثت بذلك السم المخيف سم الاحباط المبلد والانتظار وبنوع من الشهوة الغامضة سحبت اصابعي متفرقة ومجتمعة معا من الاعالي الى الاسافل ومسحت برقة تكاد تكون استثنائية انسي فخذيك وجاءتني اللطمة فورا لا تلمسني كان رفضك لي قاطعا وأكيدا واحسست بنفسي تكش منكِ ولم اهتز هذه المرة كما كنت اهتز زعلا من قبل كان تبدل آني عميق وشامل يطرأ علي وأحسست بي لأول مرة أواجه فعلا تاريخي القديم كله وبلا استثناء وبدا البحر نفسه مساحات من الرمال البليدة الميتة التي لا تروي ظمأ ولا تشفي غليلا ولأول مرة تبين لي مقدار العبث والسخافة الكامنين في اصراري المقيت على اصلاح ما لا يمكن اصلاحه على الوثوب على التاريخ الميت اصلا لقتله مرة اخرى لقد كنت اقوم حقا بعمل مميت وبدت لي حياتي القديمة برغم الأوهام الكثيرة التي عبرتها حياة فارغة خالية من كل معنى حتى من معنى السوء ولم تكن مواجهة السلطة الخارجية التافهة نفسها الا حجة اتفه لئلا أواجه في الحقيقة نفسي لأني ربما كياني من الموت والانهيار واخافني اصرارك خوفا مريعا لقد كنت تملكين ببساطة مشروعا لتحررك لحياتك الجديدة وكنت افتقر الى كل شيء بما فيه نقاط ارتكازي القديمة في عالمي القديم ولاول مرة تبين لي كيف أنه بامكان الانسان أن يذهل الاخر وأن يجرحه وأن يميته حتى بأي شيء وحتى بأبسط قواه واقلها جرحا بالكلام واحيانا بالصمت وكنت كالثور الهائج ابحث بغباء عن اقسى الاسلحة واشدها فتكا ومضاء لاجرحك جرحا بسيطا

لا ينهك ولا يميت لقد كانت اسلحتي هي الاخرى قديمة قدم العالم القديم الذي كنت انتمي اليه قدم العلاقة الموهومة والمأزومة التي ربطتني بك الى الان الى هذه اللحظة الساطعة في سواد الاوتوستراد الممتد جنوبا حتى البحر بحر الرمال المنبثة في كل مكان وانتابتني نوبة مفاجئة من الضحك الهستيري الخبيث وتمزق الليل بقهقهاتي المتتالية بصخب وعبر هدير السيارة الراكضة في ذلك الظلام ظلام الليلة الاخيرة تلك حاولت تلقف المدى النابع من القاع ولم يصلني غير الضجيج الأخوت الملجوم وبحمية اشد غيرت الصوت والنبرة والارسال وبدأت أنادي في ذلك الفضاء المغلق وبأقسى اصواتي واكثرها حميمية هيه هيه يا أهل الشام يا أهل الشام وجاءني الصدى من لصقي خافتا مكبوتا مشوش الحس والنبرات ولم اميز صوتي من لا صوتي كان كل شيء يختلط ويصير دمارا واردت أن اتأكد من انني صحت فعلا منذ قليل تلك الصيحة التي عبرتني عفوا فاعدتها من جديد وكأنك احسست بأن نهايتنا كانت تقترب باقترابنا من البحر بقيت هامدة جامدة دون حراك ونوع من التشاؤم المخيف يعتريك يشل حيويتك وانسجامك بعد أن بدا الامر غير قابل للتأجيل وعندما اطمأنت نفسي الى استسلامك المفاجيء وانهيارك القريب قمت اصيح في الجو صيحة طليقة علها تروح رأسا الى هناك ودون ابطاء خفضت الزجاج ومددت رأسي الى البر وبأعلى اصواتي واشدها حدة صحت من جديد هيه هيه يا اهل الشام يا اهل الشام واحسست بكلتي يديك تمسكان زيقي بقوة وتصميم تجرانني يمينا ويسارا ومع كل جرة يجرني صوتك النابي الى الحضيض ماذا دهاك ماذا دهاك الا تريدنا أن نصل بسلام قلت مراوغا أنا لا ابحث الا عن هذا ولكي اغرُّك اكثر تهيأت لارفع الزجاج الذي انخفض منذ قليل وقبل أن افعل ذلك استنشقت عميقا آخر النسمات الاتية من الارض وبطاقة حسي كلها حاولت أن استشف ما فيها من عبير البحر ورطوبته ولم اقل لك فحوى ما لقيت كان الليل يسحب معه الارض شمالا شمالا شمالا وكنا نقترب بسرعة هائلة من البحر ولم يعد امامنا الا القليل وتنتهي تلك الرحلة المخيفة رحلة الترويض الذاتي للذات وللاخر ايضا وكأننا اتفقنا سرا على أن نصمت الى الابد صمتنا معا وأسى غامض وجليل يحيط بنا من كل الجهات كان حلول القطيعة قاطعا وأكيدا هذه المرة ولم يبق لنا من ذلك العالم القديم الا البحر البحر الذي لم يكن هو الاخر ليجيء وكأن ذكره وحده كان كافيا لخرق مقاومتك العنيدة وكسرها من جديد صرت تصيحين بقسوة وفي كل اتجاه بحر الخرا بحر الخرا

DIFFUSION :
Librairie ASFAR
177, Rue Jeanne d'Arc
75013 PARIS
Tél. 43 31 98 73

منشـــورات « اهـــواء » باريس